السنة الحادية والستون
تموز – تشرين الاول ١٩٦٧

تاريخ البطريركية الانطاكية المارونية

بقلم الاب انطوان خير الانطوني

في سنة ١٩٥٩ عثرت في دير مار روكز الدكوانه على مخطوطة «كتاب الآثار الحقيقية في دوام كنلكة الطائفة المارونية» تأليف الاب برنردوس غبيره الحكيم الغزيري «اب عام الرهبانية الانطونية سابقاً». طالعت المخطوطة فاعجبني مضمونها؛ ورحت فيما بعد ادرسها واعلق عليها لاعدها للنشر.

وارتأى صديقي العالم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي الماروني، مدير مجلة المشرق، ان تنشر فصلاً من هذه المخطوطة على صفحات المشرق قبل نشرها كاملة، فلبيت طلبه بطيبة خاطر، سيّما وللصديق العالم في ذمتي وعود كثيرة في النشر لم احقق منها واحدة حتى اليوم.

وقبل نشر فصل من المخطوطة رأيت من المفيد ان اعرّف باختصار عن الاباتي برنردوس، على امل ان نتوسع في التعريف عنه عند نشر المخطوطة كاملة باذن الله.

حياته

ولد الآباتي برنردوس شبيره الحكيم[1] في غزير . ودخل في سلك الرهبانية الانطونية ناشئاً ورهب في دير مار اشعيا برمانا . في ١٢ ايار سنة ١٨٨٩ . ورسامته الرهبانية[2] فيما بعد في كلية القديس يوسف في بيروت فتلقى دروسه الثانوية وبعدها ارسل الى روما لمتابعة دروسه الفلسفية واللاهوتية.

وفي سنة ١٨٩٣ سافر الاب برنردوس الى روما مع اول وفد من طلاب المدرسة المارونية الحديثة في روما . والتي كان قد جددها البطريرك الياس الحويك يوم كان اسقفاً . وكان الفرح الاول الى تلك المدرسة مؤلفاً من خمسة عشر تلميذاً[3] .

في روما اقام الطلاب في المدرسة المارونية الحديثة في بورتا بينشيانا Porta Pinciana وتابعوا دروسهم الفلسفية واللاهوتية في البروبغندا .

وفي البروبغندا تبع الاب برنردوس دروسه فنال شهادة الدكتورا في الفلسفة سنة ١٨٩٤ .

ولكن ما طال الزمن في روما حتى دب الخلاف ما بين طلاب المدرسة المارونية . وحاولت السلطات بكل ما لديها من طاقات وقف الخلاف فلم تفلح . وفي نهاية المطاف امر البابا لاون الثالث عشر بفصل الرهبان عن الاكليريكيين وانزالهم في دير الخلبيين في روما .

---

١) في الرهبانية كان الاب برنردوس يعرف بانه من عائلة شبيره وليس الحكيم . حتى الدير كلهم يعرفونه بالاب شبيره . ولكن في آخر حياته : وبعد دراسات عن تاريخ العائلة ، اخذ يزيد على شبيره الحكيم .

٢) استندت في كتابة سيرة هذا الراهب على « سجل الناذرين الاموات في الرهبانية الانطونية ابتداء من سنة ١٩٣٠ » نمرة ٢ عدد ٦٧ « . وهذا السجل لا يزال محفوظاً في خزانة محفوظات الرئاسة العامة للرهبانية الانطونية في دير مار روكز الدكوانه .

٣) هذه هي اسماء طلبة الفرح الاول : فتح الله خوري من بكاسين . الخوري اسقف عبدات مسعد من عشقوت . الخوري عمنوئيل فضل من كفرحورا . الخوري انطون حواد من حصرون . سركيس اسعد الدريهي من اهدن . الخوري اسقف نعمة الله البجاني من بيت شباب . الخوري يوسف الخضري من شيالة . الخوري اسقف بولس قرألي من حلب . يوسف المعلم من ابرشية بيروت .

اما الرهبان فكانوا : الاب بولس عبود البلدي . الآباتي برنردوس شبيره الانطوني والآباتي لويس عبد الانطوني . وقد انضم اليهم ثلاثة من الرهبان الخلبيين كانوا في روما وهم : الاباتي طوبيا النتيي . الاباتي جبرائيل الشمالي والاب يوسف منصور . راجع المجلة البطريركية ١١ (١٩٣٦) ، ص ٦٩—٧٠ .

وبعد هذه الاحداث تابع الاخ برنردوس سفره من روما الى باريس وذلك في سنة ١٨٩٧ وراح يتابع دروسه اللاهوتية في سان سولبيس والكنية الكاثوليكية . وهناك تعرف الى قسم كبير من المستشرقين منهم صديقه الاب فرنسوا نو .

في سنة ١٩٠١ عاد الآبائي برنردوس من باريس وعين استاذاً للفلسفة في مدرسة الرهبانية الاكليريكية في دير مار اشعيا . وبعد مدة من الزمن وقع خلاف بينه وبين الادارة فاضطر الى ترك منبر الفلسفة منصرفاً الى تعليم الاولاد بينهم اولاد انطوان ملحمه . ولكن الامر لم يطل حتى رجع الى متابعة التعليم الفلسفي في مار اشعيا .

وفي عام ١٩١٠ امرت الرياسة الرسولية على الرهبانيات المارونية بنقل المدرسة الاكليريكية من مار اشعيا الى دير القلعة في بيت مري . فانتقل المعلم مع تلاميذه وظلوا هناك حتى سنة ١٩١٣ . بعدها رجعوا الى مار اشعيا.

في الثالث عشر من ايلول سنة ١٩١٣ عين الاب برنردوس رئيساً عاماً على الرهبانية الانطونية . ودامت رئاسته حتى سنة ١٩٢٢ .

خلال رئاسته العامة تعرضت الرهبانية لاحداث خطيرة . منها وقوع الحرب العالمية الاولى وما سببته من ويلات ودمار . فاحتلت الجيوش العثمانية الاديار ؛ وبات القسم الكبير الكبير من الرهبان . وتشتت شمل الباقين . وزاد في الطين بلة خلاف قسم الرهبانية فريقين : فريق مع الرئيس العام وفريق ضده .

وبعد تركه الرئاسة العامة ذهب الى غزير فعاش هناك يتقب ؛ يدرس يؤلف ويعلم الى ان وافته المنية ، فمات في الثالث من تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ .

تآليفه

أ الكتب المطبوعة

Rome et l'Eglise Syriaque-Maronite d'Antioche (517-1531), Beyrouth 1906.

كتاب الحجج الصحيحة في حقوق الرهبانية الانطونية الصريحة على دير مار الياس غزير ، [بدون ذكر المطبعة والمكان] ، ١٩٤١ .

ب المخطوطات

١ مخطوط كتاب الفلسفة باللغة العربية . تأليف الاب برنردوس غبيره الحكيم لما علّم هذه المادة في مدرسة مار اشعيا سنة ١٩٠١ .

٢٠٦ × ١٥٦ ملم . صفحاته غير مرقومة . ١٩٨ ورقة . ٥ ورقات بيض في آخره . الخط ليس للمؤلف .

٢ تاريخ عائلة الحكيم نجيال مصير هذا المخطوط .

٣ سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين

جاء في مخطوط كتاب الآثار الحقيقية في دوام كنيسة الطائفة المارونية عن هذه السلسلة ما يلي : « وسوف يرى القارئ قريباً كتاباً خاصاً منا في سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين مطولة ومفصلة باسهاب حيث يجد زيادة شرح وايضاح لهذه المسألة وعلى الله الاتكال » .

هذا المخطوط لم نعثر عليه حتى الآن .

٤ السنكسار الماروني

٢٨٠ × ٢١٥ ملم . صفحاته غير مرقومة . مجلد ضخم : هذا المخطوط كناية عن مشروع اصلاح للسنكسار الماروني كان قد اعده الاب برنردوس ولم يتمكن من طبعه . ويعتبر الاب برنردوس في سنكساره اول من كتب من الموارنة بالاسلوب العلمي في سير القديسين .

ومؤخراً صدر « كتاب السنكسار او سير الشهداء وغيرهم من القديسين بحسب طقس الكنيسة الانطاكية المارونية . قد نظرت فيه ونقحته لجنة : من آباء الرهبانية اللبنانية المارونية : وطبع باذن الرؤساء في مطبعة مهنا — شارع لبنان : بيروت » .

جاء في مقدمة السنكسار المطبوع ما يلي : « ولا بد لنا من الاشادة بفضل البحاثة المرحوم الآباتي برنردوس غبيره الانطوني الذي وضع نسخة للسنكسار الماروني ، اراانا اياها ، يوم كان رئيساً عاماً على الرهبانية الانطونية الكريمة ، بعد ان اطلع على التسعة الاشهر المتروكة عن المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس . وفيما كان الآباتي غبيره ، يعد نسخته للطبع ، فاجأته المنية ، فبقيت تلك النسخة في خزانة الرئاسة العامة ، فتكرم بها علينا صديقنا الآباتي الجليل مارون حريقه رئيس الرهبانية الانطونية الكلي الاحترام . فله خالص الشكر لانه سهل لنا الافادة منها بما فيها من الوثائق والمستندات التاريخية التي بذل ، ولا شك ، واضعها رحمه الله ، الجهود

الكثيرة في التفتيش عنها بما كان لديه من المعاجم والموسوعات كموسوعة البولنديين وغيرهم »[1] .

هذا الكلام كان للمرحوم الاب بطرس ساره اللبناني . الذي عمل الكثير الكثير في سبيل طبع السنكسار .

ولكن الذي يقابل السنكسار الماروني المطبوع « الذي نقحته لجنة من آباء الرهبانية اللبنانية المارونية »[2] مع السنكسار الماروني الخطي للآباتي برنردوس ، يلاحظ فوراً ان ما نقح هو مخطوط غبيره ، واحياناً كثيرة ظل النص الاصلي على حاله .

وتصديقاً لما نقول سنأخذ نصاً من مخطوط الآباتي غبيرد لنقابله مع نص آخر من السنكسار لنرى اي شبه بين النصين .

النص الخطي كما كتبه الآباتي برنردوس

اليوم العاشر من تشرين الآخر

ذكر القديس تريفين

ولد هذا القديس في مدينة افاميا من بلد بيثينيه نحو اوائل القرن الثالث وشرع بممارسة الفضيلة منذ حداثته حتى يمكن انطباق كلام القديس امبروسيوس عليه ان التقوة ليست في العمر . اذ انه كان يبشر بعظمة الله ويطرد الشياطين ويشفي الامراض ولما رأى شدة الاضطهاد من داكيوس على المسيحيين خاف ان ينشل احد منهم تحت العذاب فاخذ يشدد ويشجع الضعفاء منهم متقدماً لهم احتياجاتهم فسمع به الوالي كيرينوس قبض عليه ولما تهدده بالحريق ان لم يعبد الاوثان اجابه القديس التي اولى في الاعتراف يسوع للمسيح القاضي العادل فحاسته الوالي قائلاً انك شاب

النص المطبوع من السنكسار ص ٧٦–٧٧

اليوم العاشر

تذكار القديس الشهيد تريفين (القرن الثالث)

ولد هذا القديس في مدينة افاميا من بلد بثينية ، نحو اوائل القرن الثالث . وشرع بممارسة الفضيلة منذ الصغر ، حتى تمكن ان ينصح فيه قول القديس امبروسيوس : ليست « التقوة بالعمر » . لانه وهو حديث السن ، كان يبشر بعظمة الله ؛ وعلى يده يجري الله المعجزات من شفاء المرضى وطرد الشياطين . ولما اثار داكيوس قيصر الاضطهاد على المسيحيين خاف هذا القديس على ان ينشل احد منهم تحت العذاب ، فهب بما فيه من جرأة وحماسة ، يشدد عزائم الضعفاء ويشجعهم مقدماً لهم احتياجاتهم .

---

١) صفحة

٢) هذه السنة كانت مؤلفة من الآباء بطرس ساره ويوحنا ابي صابر وبطرس الكفري اللبنانيين (عن د.

النص المخطوطي كما كتبه الاباتي بنرديس

اليوم العاشر من تشرين الآخر

ذكر القديس تريفون

وشفق على ذلك فاجابه القديس اوغب ان اصل الى كمال الحكمة الحقيقية في اتباعي يسوع المسيح فمدّه على آلة العذاب فتقدم اليها القديس من تلقاء نفسه واحتمل عذابها بفرح وكان يشكر الله مدة ثلاث ساعات ولم يئه بكلمة توجع او تذمّر حتى اندهل الحاضرون من صبره ورباطة جأشه. ثم ان الوالي امر بارجاعه الى الحبس وذهب الى القصر وقد تشققت رجلا القديس من شدة البرد وبعد رجوعه استنطقه ثانية فوجده مصراً على امانته المقدسة فتركه في السجن الى ان يعد له عذاباً اشد وأقسى. ثم انهم مزقوا جسده بالمخالب الحديدية وعلقوه برجليه وسمروها بمسامير محمية وكسروا اعضاءه بضرب العصي وحرقوا جانبيه بمشاعيل. ولما رأى الجلاد صبر القديس تعجب جداً وتأثر كثيراً وتحرك قلبه بالنعمة فاعترف بالمسيح ونزل تحت العذاب مع القديس تريفون وكان اسمه رسيبيوس. ومن ثم قادوهما الى هيكل المشتري اي زوس فاسقطه القديس تريفون بصلاته وسحقه سحقاً. وبعد ان عذبوا رسيبيوس العذاب الذي اجروه على تريفون سمروا ارجلهما وساقوهما مشياً في نواحي المدينة حتى قاسيا الاماً شديدة للغاية اذ ان الوقت كان وقت البرد القارص وكانا يصليان للسيد المسيح ليقويهما على الشيطان وينصرهما بعونه الى النهاية. واخيراً ضربوهما ضرباً

النص المطبوع من السنكسار ص ٧٦-٧٧

اليوم العاشر

تذكار القديس الشهيد تريفون (القرن الثالث)

فتبغض عليه الوالي كيرينوس وحد يتهدده باحراق ان لم يكفر بالمسيح. ويسجد للاوثان. فاجابه القديس: وحيّر في ان اموت معترفاً بيسوع القاضي العادل». فعاد الوالي يتملقه ويلاطفه قائلاً له: اشفق على شبابك وحافظ على مستقبلك. فاجاب: «لا رغبة لي في الحياة الا ان اصل الى كمال الحكمة الحقيقية، باتباعي يسوع المسيح فادي ورئي».

عندئذ جاءوا بآلة التعذيب ليمددوه عليها فتقدم هو اليها من تلقاء ، بكل شجاعة ، واحتمل عذابها بفرح شاكراً لله ما انعم به عليه من قوة وثبات ؛ وظل معذباً على تلك الآلة ثلاث ساعات لا يشكو ولا يتذمر حتى اندهش الحاضرين. وقد تشققت رجلاه من البرد. فامر الوالي بطرحه في السجن الى ان يعد له عذاباً اشد واقسى. فمزقوا جسده بمخالب من حديد وسمّروا رجليه بمسامير محمية وحطموا اعضاءه بالضرب وحرقوا جانبيه ، وهو صابر ثابت في ايمانه.

ولدى هذا المشهد ، آمن الجلاد واسمه رسيبيوس وجاهر بايمانه ، فقادوا الاثنين الى هيكل المشتري زوس فاسقطه تريفون

النص الخطي كما كتبه الاباتي برنردوس

اليوم العاشر من تشرين الآخر

ذكر القديس تريفون

مبيحاً بمخالب رصاصية ولما بقيا احياء مشرين على الايمان امر الحاكم بقطع رأسيهما وهكذا تمت شهادتهما سنة ٢٠٠ للمسيح[1].

النص المطبوع من السنكسار ص ٧٦–٧٧

اليوم العاشر

تذكار القديس الشهيد تريفون (القرن الثالث)

بصلاته : لذلك آمنت ابنة عذراء كانت هناك . فاستشاط الوالي غيظاً : وامر بقطع رؤوس الثلاثة فنالوا اكليل الشهادة سنة ٢٥٠ م[2] .

بعد هذه المقابلة مـا بين النصوص ، كنا نود ان يذكر «المنقحون» اسم الآباتي برنردوس غبيره باكثر صراحة . لان «المنقح» غير «المؤلف» ؛ وان الخطوط يظل باسم المؤلف لا باسم الناشر .

٥ ـ كتاب الآثار الحقيقية في دوام كنلكة الطائفة المارونية . تأليف الاب برنردوس غبيره الحكيم الغزيري ؛ اب عام الرهبانية الانطونية سابقاً ؛ تلميذ كلية القديس يوسف في بيروت والمدرسة المارونية في روما وسان سولبيس والكلية الكاثوليكية في باريس .

٢٢٠ × ١٧١ ملم ؛ صفحاته غير مرقومة . ٢٠٠ ورقة : ثلاثة اجزاء ؛ كل منها يحتوي على الفصول التالية :

الجزء الاول :

فصل في مركز دير القديس مارون ابي الطائفة المارونية .

---

١) اولاً : السنكسار الباسيلي في اول شباط .
ثانياً : السنكسار الروماني في ١٠ تشرين الآخر والبولنديست الصغير في ١٠ ت ٢ .
ثالثاً : مروج الاخبار في ١٠ ت ٢ والسنة الطقسية ١٥ وجه ٣١١ في ١٠ ت ٢ .
رابعاً : مكتبة الآباء الشرقية واليونانية البولنديين في ١ شباط – في عهد داكيس .
(B. H. O.) (B. H. G.)
خامساً : كلندار الكنيسة الانطاكية فهرست عواد والسمعاني صفحة ١٢٤ في ١ شباط .
ملاحظة : يذكر سنكسارنا في هذا اليوم ايضاً : القديس مرتينوس المعترف وبما انه غير شهيد لم ندون سيرته .

٢) المستندات : السنكسار الباسيلي في اول شباط والروماني في ١٠ ت ٢ مكتبة الآباء اليونانية والشرقية البولنديين في اول شباط .
كلندار الكنيسة الانطاكية لعواد والسمعاني .

فصل في دير القديس مارون في دمشق .

فصل في القديس يوحنا مارون الاول وفي الجدال الذي بين رهبان ديره في ارض اقاميه وبين مطارنة القاطرة سنة ٦٣٠ .

فصل في جدال رهبان مار مارون مع الرهبان اليعاقبة في انطاكية بين سنة ٥٩٤–٥٩٩ .

فصل في وجود نصارى ورهبان كاثوليكيين في لبنان منذ القرن الخامس .

فصل في براءة القديس يوحنا مارون من التهم الموجهة اليه من المطران يوسف داود .

فصل في انتصار رهبان مار مارون لمعتقد خلقيدوني الكاثوليكي سنة ٦٣٠ بموجب رواية التلمحري ومحائل الكبير .

فصل في جدال اساقفة دير مار مارون مع اساقفة اليعاقبة في دمشق امام معاوية سنة ٦٥٩ .

الجزء الثاني

فصل في حقيقة اعتراف الموارنة بالمشيئتين الطبيعيتين واتفاقهما في المشيئة الواحدة الادبية وفي انكارهم المشيئتين المتضادتين التسطوريتين .

فصل في منشأ المشيئتين الاقنوميتين المتضادتين وفي انكار رهبان مار مارون لهما وقولهم باتفاق المشيئتين اي المشيئة الواحدة الادبية .

فصل في كتاب ايمان الموارنة المنسوب الى يوحنا مارون .

الجزء الثالث

فصل ٢٠ مقالة ١٠ من تاريخ التلمحري عن ابن العبري .

الجزء الثاني من رواية التلمحري في اختلاف خلقيدوني حلب وانقسامهم .

الجزء الثالث من رواية التلمحري في انتخاب البطريرك تاوفيلقطوس وفي اضطهاد الموارنة وفي البطريركية الانطاكية المارونية .

فصل في سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين بعد الانفصال اي من سنة ٧٣٠ .

الجزء الرابع من نص التلمحري في معتقد الموارنة .

فصل في ان تعليم الموارنة باتفاق المشيختين الطبيعيتين بمشيئة واحدة ادبية هو تعليم القديس يوحنا الدمشقي والبابا اونوريوس والكنيسة الكاثوليكية.

قيمة هذا التاريخ

لو ان الآباتي برنردوس غبيره الحكيم نشر مخطوطه في حينه . لكان كتابه اثى بين التواريخ المارونية القيمة . لان فيه من المعلومات والمستندات ما لا تجده في اي تاريخ آخر . ورغم التأخر في نشر هذا المخطوط . يظل ، على ما اعتقد. تاريخ غبيره مرجعاً قيماً . فيه حقائق جديدة لم يكن يعرفها احد ؛ كما ان فيه درساً تحليلياً للنصوص لم يسبقه اليه احد.

الا ان المؤلف اهتم ايضاً بالدفاع عن الموارنة اكثر من اهتمامه بالحقيقة التاريخية . تلك اسلوبية كانت دارجة على عهد المؤلف . زد على ذلك لغة عربية ركيكة مع اخطاء لغوية عديدة .

اقدمنا على نشر هذا الفصل من المخطوط بامانة كلية . وعدنا الى المراجع الاصلية ننقل عنها النصوص ، ونصحح بعض الاخطاء التي وقع فيها الناسخ ؛ كما اهتمينا بضبط المراجع ؛ ووضع النقط والفواصل ؛ احياناً قليلة ، والتعليق المختصر والمفيد عند اقتضاء الامر[1] .

---

١) وهناك مقالات اخرى مخطوطة للاباتي برنردوس غبيره الحكيم الانطوني لم تأت على ذكرها في هذا البحث ، منها ما تمكنا من الحصول عليها وحفظها في خزانة المخطوطات الانطونية ، ومنها لا يزال مجهولاً حتى يومنا هذا ، لان يد البحث قد لعبت بمكتبة المرحوم ، وفقدت منها الكنوز الخطية والمطبوعة .

فصل

في سلسلة بطاركة السوارنة الانطاكيين بعد الانفصال اي من سنة ٧٣٠

اعلم ان رئيس دير مار مارون في زمن اضطهاد البطريرك تاوفيلكتوس[1] رهبان هذا الدير في سنة ٧٤٥ كان يسمّى الاستف جرجس كما جاء في المخطوط البريطاني عدد ١٧١٦٧ السرياني[2] الذي اكتشفه صديقنا العلامة السيد فرنسوي نو الافرنسي حيث جاء في حاشيته : «فليكن ذكر صالح امام الله الآب القدير على كل شيء وامام سيدنا يسوع المسيح وامام الروح القدس المحيي للكاهن مار متى من قرية قيلاب في بلاد الصوفانيين الساكن بدير مار مارون ولتلاميذه الذين شرفوا هذا الكتاب كتاب يوحنا الراهب مع عدة كتب غيره للانتفاع بها. وقد دخل اذاً هذا الكتاب الى مكتبة دير مار مارون سنة ١٠٥٦ للاسكندر (سنة ٧٤٥) في زمان الرئيس مار جرجس في خربة مارويا وكان حافظ المكتبة اسطاسيوس من ... ومار سركيس من ديلام ومار قزما من مصرة منشرين (قنسرين) ومار زكريا من متا».

وقد ذكر هذا النص السعيد الذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سوريا : ثم ذكرته مجلة المشرق[3] في آذار ١٩٢٦ ، صفحة ٢٣٩. اما

---

١) عن اضطهاد هذا البطريرك للسوارنة راجع CHABOT J.-B., *Chronique de Michel le Syrien*, Paris 1905, t. IV, p. 467.

٢) الاصل راجع WRIGHT, *Catalogue of Syriac Manuscripts in the British Museum*, London 1871, part II, pp. 450-454. Br. Mus. Add. 17169,

اما النص السرياني فهو التالي :

ومنذا ليحا معمودا وإومعمدا ممم هكما اما اسب حلا . معنه من معمد ممسل . مؤمنه سا معيسا . حمنذا ممسا معمد وهم معمد منما اماؤا وإوقسا وحضة حمعمنا ميسا وإلهما منه منم مكمعم وإلحميمقب . ومنه لحمم حمحا ما ومنه معمم مسيسا حمر د.... وحمحا ستا سحتمب . اس وحماؤا ومنمعمم . ممّ . حلا وهم حمحا ما لحمه حمحا ومنه منم حمنه لحك مصمم معه كمعمب 'منه ومنيمنا حمعمق وسنحمعنما (?) مو اما حمه حمحا ومنيؤا (διαστρέφειν) اماصب و..... وناب معنه منحمح ووكما معنه معاما ومنما منوم معتب اننا وؤمحا

٣) المشرق ٢٤ (١٩٢٦) ، ص ٢٣٩ .

هذا الرئيس جرجس فلا مشاحة انه كان في ذاك الزمان من الذائعين الشهرة بالقداسة والعلوم الفلسفية واللاهوتية وكانت له اليد الطولى في مبادئ واراء رهبان مار مارون الدينية والنصيب الاوفر من العذابات التي اجراها البطريرك تاوفيلكتوس وعسكره البربري على رهبان ديره المقدس. ومما لا ريب فيه ايضاً ان هذا الرئيس جرجس كان من مؤسسي الكنيسة المارونية في انفصالها واستقلالها الذي رواه التلمحري: وقد تم في زمانه ولذا قد اشتهر هذا الرئيس ليس في دمشق وحلب ومنبج وحمص وجبل لبنان فقط، حيث كان تلموارنة اديرة وشعب على رأيهم بل في جميع اقطار المملكة الرومانية واخصها قسطنطينية. ومن ثم كان لهذا الرئيس النفوذ والكلمة والرأي الذي لديره على جميع الاساقفة المختصين بهذا الدير والتابعين اراءه والمتمسكين بمبادئه الاعتقادية. وان ما زاده شهرة عمن تقدمه وخلفه في رئاسة هذا الدير المبارك انما هو الحادث العظيم الذي حصل لرهبانه من اضطهاد بطريرك المكسيميين ومن الانشقاق والاختلاف بعد المجادلات الحامية والدموية بين ذوي حزب دير مار مارون وبين اخصامهم المكسيميين. ولا شك ان هذا الرئيس جرجس قد زار اديرته في دمشق ومنبج وحمص وحماه ولبنان شأن الرئيس الاول والاعلى بصفته رئيس دير مار مارون العظيم.

ونظراً لما لهذا الرئيس من عظم الاهمية في قضية الموارنة، قد اخذنا بالبحث والتنقيب عنه في ما لدينا من التواريخ اليونانية واللاتينية فلم نهتد الى شيء يتعلق به. لكننا وجدنا له ذكراً، كبير الفائدة، وجزيل الاهمية في تواريخ علماء اليعاقبة اعني بهم التلمحري والمؤرخ الآخر المجهول الاسم: وهو من القرن السادس عشر، وقد طبعه غبطة البطريرك العلامة لطائفة السريانية اقرام الرحماني الثاني السرياني فخر المشرق. وهذه هي نصوصها:

نص التلمحري[1] جزء ٣ ف ٢٤
صفحة ٤٧٣

[illegible]

نص المؤرخ اليعقوبي الآخر[2] ف ٢٥
باب ٨٤ وجه ٢٢٠

[illegible]

« ان الخلقيدونيين كانوا يبغضون قسطنطين هذا ويسمونه مبغض الايقونات وعلموهن لانه جمع مجمعاً فيه امر بتحديد عدم تكريم الصور والسجود لها وحرم هو والاساقفة الذين حضروه : سرجيوس ويوحنا بن منصور وجرجي (هو جرجس الرئيس) الدمشقيين وجرجي القبرسي لانهم يقيسون ويؤيدون تعليم مكسيموس . اما هذا الملك قسطنطين فانه كان سامي المدارك وحافظ اسرار الامانة الارثوذكسية (اليعقوبية) ولهذا كان الخلقيدونيين يبغضونه ولم يزالوا الى الآن » .

ان المؤرخين المذكورين يذكران في نصيهما هذا جرجي او جرجس ويدعيانه الدمشقي وانه قد حُرم مع القديس يوحنا الدمشقي ومع جرجي القديس في مجمع الزور الذي عقده الملك قسطنطين سنة ٧٥٤ وذلك لانهم لم يوافقوه في حرم عبادة الايقونات والصور وليس بما انهم كانوا يؤيدون تعليم مكسيموس كما جاء في نص التلمحري وذلك بما ان جميع المؤرخين صرحت ان هذا المجمع الزور قد حرم القديس يوحنا الدمشقي مع من حرمه بما انهم كانوا يؤيدون عبادة الايقونات والصور . ثم ان هذا المجمع الذي يتهمه التلمحري بالمونوثلية لم يبحث على ما نعلم بمسألة المشيئة والمشيئتين . اما اذا كانت عبارة التلمحري هذه صحيحة كان جميع الاساقفة الذين حضروا مجمع الزور هذا في سنة ٧٥٤ مونوثليين هم وكنائسهم

(١) Chabot J.-B., *Chronique de Michel le Syrien*, Paris 1905, t. 3, p. 473.
(٢) Rahmani Ignatius Ephroem, *Chronicon civile et ecclesiasticum anonymi auctoris*, Charfet 1904, p. 220.

وبينهم قسطنطين بدون ادنى ريب . اما ذلك فيظهر انه مخالف لواقع الحال لان الكنيسة الشرقية كانت قد سلمت بالمشيئتين منذ المجمع السادس فصاعداً . لكن لاثبات هذه الفترة لان التلحمري نفسه قال قبلاً ان مرطقة مكسيموس كانت قد قبلت قبل سنة ٧٢٧ في كنائس الرومانيين . الا انها لتلك السنة لم تكن قد قُبلت في سوريا .

اما نحن فبسبب هذا التناقض الواضح نرى ان عبارة التلحمري كانت مسبوقة بحرف نفي : لا . كأن تكون العبارة « لا يقيمون تعليم مكسيموس ». وهذا اقرب للصواب . اذ ان تعليم مكسيموس الذي وصل ودخل الى سوريا بواسطة السابيين واخوسيين قد فُهم انه اللاعتقاد بمشيئتين متضادتين . حينئذ قام القديس يوحنا الدمشقي ورئيس دير مار مارون جرجس الدمشقي وجرجي القبرسي ينكرون هذا التعليم ويرفضونه لانه ليس بالتعليم الصحيح الذي علّم به القديس مكسيموس الا وهو الاعتراف بالمشيئتين الطبيعيتين المتفقتين بمشيئة واحدة ادبية : وليس المتضادتين . فيظهر ان امرهم هذا اشتهر حتى حُرموا من مجمع الزور بسببه وقد يتصدق هذا القول من ان القديس يوحنا الدمشقي كتب مقالته في المشيئتين تصحيحاً وايضاحاً لتعليم مكسيموس الصحيح الذي كان يضاده تعليم المكسيميين في سوريا كما رأيت . والا لا ترى سبباً آخراً لكتابة القديس يوحنا الدمشقي لتلك المقالة المهمة . لان المونوثليين لم يدخلوا الى سوريا . وقد كان ذكرهم قد محي ايام الدمشقي . ولذا ترى مقالة الدمشقي موجهة الى اليعاقبة والنساطرة لا غير . لانهم هم الذين كانوا يعتقدون بالمونوثلية . وفي الوقت ذاته موجهة الى الخلقيدونيين جميعاً ايضاحاً لتعليم المشيئتين حذراً من ان يسيئوا فهم وشرح هذا التعليم . اما هؤلاء الرؤساء القديسون المحرومون من مجمع قسطنطين هذا الزور ، فيدل تاوفانوس المؤرخ انهم كانوا اعلام الكنيسة السورية الانطاكية . وقد عقدوا مجمعاً من الاساقفة السوريين في سنة ٧٢١ قرروا فيه عبادة الصور ، وحرموا الملك لاون الكافر والد قسطنطين هذا لانه كان قد اصدر امراً هو ويزيد ملك العرب بقلع الصور من الكنائس والاديرة وهذا نصه :

Tum vero Damasci Syriæ Joannes Chrysorrhoas, Mansur filius, doctor egregius, sanctitate vitæ æque ac doctrina fulgebat, °...° ac denique Joannes una cum totius Orientis episcopis impium Leonem anathemate devinxit »[1].

(1) P.G., t. 108, col. 823-826.

الذي معناه :

ثم انه قد اشتهر في دمشق في سوريا يوحنا كريسوروهاس بن منصور العلامة العظيم بقداسة سيرته وبغزارة علمه ... ثم انه يوحنا (الدمشقي) هو وساقفة جميع المشرق قد ضربوا بالحرم لاوون الكافر. »

وقد روى المنبجي[1] صفحة ٣٥٩ فقال : « وفيها (سنة ٧١٦) امر لاون بقلع صور الشهداء من الكنائس والاعمار والديارات فلما بلغ غريغوريوس بطريق رومية ذلك غضب ومنع اهل رومية وايطالية (ليس انطاكية) ان يؤدوا له الخراج» .

ثم قال في الصفحة ٣٧٣ : « وفي هذه السنة (٧٥٤) جمع قسطنطين ملك الروم جمعاً بقسطنطينية زهاء ثلثمائة اسقف في امر الصور التي في الكنائس فبحثوا ونظروا هل يجب السجود لها ام لا . فوافقوا انه غير واجب السجود لها وان ذلك لا يحل البتة . واحضروا شهادات من كتب الله القديمة الجديدة والحديثة ومن مقالات الآباء وحرموا ايناسه بن منصور الدمشقي وشريغور (هو اسم جورجي المذكور في النصوص السريانية كأن الاسمين سيّان اي جورجي وشريغور) القبرسي ووضعوا قوانين كثيرة وسموه الجمع السابع»[2].

وقد روى تاوفانوس : ان البابا غريغوريوس اشهر حرم البطريرك انسطاسيوس الذي كان اقامه لاوون وحرمه لاوون وحرّك ايطالية ورومية ضده ووضعها من تحت سلطته . عندئذ استشاط لاوون الكافر غيظاً واشهر الحرب للصور . واجرى الاضطهاد لمن يكرمها . والحق الاذى بالكثيرين من مؤيديها خاصة الاكليروس والرهبان » .

فلا بد انه لحق رهبان مار مارون قسماً من هذا الاضطهاد . وقد بقي لاوون الكافر على اضطهاد مكرمي ومؤيدي عبادة الصور في ايامه كلها ؛ الى ان هلك في سنة ٧٤١ . وقام مكانه ابنه قسطنطين الرابع الذي واصل كفر والده لاوون بمحاربته عبادة الصور واضطهاد مكرميها . وقد زاد عليه اذ جمع في سنة ٤٥٤ مجمعاً زوراً حضره نحو ثلثماية اسقف من الشرقيين كانوا على رأيه وحرموا الايقونات والصور ، كما انهم حرموا مؤيدي عبادة الصور في الكنيسة الانطاكية يوحنا الدمشقي وجرجس الدمشقي رئيس دير مار مارون الذي ذكره التلمحري وجرجس القبرسي .

---

(١) Agapius Episcopus Mabbugensis, *Historia Universalis*, ed. Cheikho L., CSCO, vol. 65, Louvain 1954, p. 359

ايناسة هو اسم يوحنا الدمشقي كما يقول شيخو .

(٢) *Op. cit.*, p. 373.

ومن ثمّ كان جرجس هذا رئيس دير مار مارون كما برهنا . وقد ذكر قسماً بين اساقفة المشرق الذين حضروا مجمع القديس يوحنا الدمشقي وحرموا لاوون . والحال ان هذا الحادث جرى قبل انشقاق الخلقيدونيين اي في سنة ٧٣١ . ومنه يُستدل ان دير مار مارون حرم لاوون الملك واثبت عبادة الصور . اما بعد الانشقاق فقد اجتمع واتفق جميع الخلقيدونيين كما يقول الطلمحري على بغض الملك قسطنطين لانه عدو الصور ولانهم جميعاً يكرمونها ويقدمون لها العبادة . ولا ريب ان رهبان مار مارون والموارنة كانوا مقدميه وزعماء الكنيسة الخلقيدونية الانطاكية في ذاك الوقت وبالاخص لان كفر عداوة الصور كان قد بثه يزيد ملك العرب ولاوون ملك الروم والاثنان عدواهما .

وريب معترض يقول ان جرجس الدمشقي الذي ذكره الطلمحري ليس رئيس دير مار مارون بل هو من آباء الكنيسة اليونانية .

نجيب انه لو كان من آباء الكنيسة اليونانية لكان ذكره مؤرخوها كما ذكروا الدمشقي . والحال انهم لم يذكروه كما ترى في نص تاوفانوس لسنة ٧٤٥ وهذا هو نصه :

وفي هذه السنة ايضاً (٧٤٥) قد جمع قسطنطين الكافر مجمعاً زورياً ضد الصور المقدسة والمكرمة في قصر باريه من ثلثماية وثمانية وثلاثين اسقفاً (وبطريرك القسطنطينية رئيسهم) .

فهؤلاء الاساقفة جميعاً قد قرروا رأيهم الخاص بسلطتهم الخاصة بدون حضور احد من اصحاب الكراسي الكاثوليكية اعني رومية والاسكندرية وانطاكية واورشليم. واشهروا جميعاً حرفتهم الرديئة علناً . اما جماعة الشعب وقد تجاسروا ان يضربوا بالحرم جرمانوس الكلي القداسة ويوحنا القديس الدمشقي الرجال القديسين والعلماء الواجب احترامهم .

Eodem etiam anno impius Constantinus adversus sanctas et venerandas imagines illegitimum trecentorum triginta et octo episcoporum in Hieriæ palatio coegit conciliabulum, °...° Isti privatas suas sententias privata auctoritate sancientes nullo catholicarum sedium, Romæ, dico, Alexandriæ, Antiochiæ et Hierosolymorum præsente, °...° qui, omnes pravam suam hæresim coram universo populo promulgaverunt et sanctissimum Germanum, Geogium Cyprium, Joannem Chrysorrhoan Mansuris filium, viros sanctos et venerandos doctores anathemate ferire ausi sunt »[1].

(1) P.G., t. 108, col. 862.

نرى ان هذا النص اليوناني لم يذكر جرجس الدمشقي كما ذكره مؤرخو اليعاقبة . ومع ذلك لا بد انه لم يكن من آباء اليونان . ولذا قلنا انه رئيس دير مار مارون السابق ذكره . ولذا سكت عنه مؤرخو اليونان لانه من حزب اخصامهم الموارنة . وقد رأيت اتفاق جميع خلقيدوني انطاكية قبل انضمامهم الى موارنة مكسيمين في سنة ٧٢١ على عصيانهم لمسند لاون وتأييدهم عبده عبادة الصور . فلا بد اذاً من ان الموارنة قد بقوا على عبادة الصور وقد محاربيا بعد استقلالهم حتى كان جرجس رئيس ديرهم في مقدمة الزعماء المحرومين من مجمع الزور . وبما ان الجدال والاختلاف والانشقاق حصل بين الخلقيدونيين في سوريه حتى انفصلوا الى طائفتين مارونية ومكسيمية حصر في بدء لاون الكفر وقسطنطين ابنه عبدوا الصور . وتسمت المكسيميين وقتئذ بآراء الروم . وحاربوا خاطرهم . لا بد من ان عبادة الصور كانت من اسباب الخلاف والانشقاق اذ تبعها الموارنة تحت زعامة رئيس ديرهم القس جرجس وتركها المكسيميين تبعاً للاساقفة ولمسكة اعدائها .

اما جرجس الدمشقي رئيس دير مارمارون فلا هو الذي ذكره انتلمحري والمؤرخ الآخر اليعقوبي مع يوحنا الدمشقي وجرجس القبرص وليس شخص آخر غيره وذلك للاسباب الآتية :

١ً لان الاسم هو واحد اي جرجس في انتلمحري والمخطوط البريطاني.

٢ً لان الزمان واحد اي ان الرئيس جرجس كان على دير مار مارون في سنة ٧٤٥ والمجمع الذي حرمه في سنة ٧٥٤ .

٣ً لان القس جرجس الرئيس هو الوحيد على ما نعلم في ذاك الوقت وقد كان مشهوراً بالزعامة المارونية الخلقيدونية وعبادة الصور.

٤ً لانه رئيس حزب الموارنة الديني المشهور بتمسكه بعبادة الصور اوانئذ .

٥ً لانه كان مشهوراً بعصيانه وعصيان قومه الموارنة على القسطنطينية وعدواً لآرائها الدينية منذ القدم حتى ذاك الوقت . الا وهو رئيس الطائفة المارونية التي استقلت عن الروم منذ سنة ٧٣١ او ٧٢٧ اي من ابتداء الجدال .

٦ً لانه رئيس الطائفة المارونية عدوة الطائفة اليعقوبية منذ القدم وحليفة الملك قسطنطين الآن .

٧ً لان تقليد الموارنة يفيد ان الملك الذي كان يبغض الموارنة ويضطهدهم في ابتداء استقلالهم انما يسمّى قسطنطين . وهذا ما هو الاّ قسطنطين بن لاوون محارب التصوير الذي حمل استقلال الموارنة في زمانه. وقد اختلف بسببه الخلقيدونيون في سوريا فانفصلوا الى ملكيين تبعاً الى هذا الملك قسطنطين ؛ ومارونيين تبعاً الى رهبان دير مار مارون العظيم . وهذا ممّا لا ريب فيه . لان نص التلمحري اثبته ونفى حدوثه في زمان قسطنطين اللاحياني ؛ وشهادته اصدق من سواها ؛ لانه ثقة واخبر من سواه في حوادث وطنه سوريا ؛ خاصة المعاصرة له منها . وحقاً ان من تتبع بامعان رواية التلمحري وظروفها وقابلها مع رواية تقليد الموارنة مبتدا استقلالهم يجد جميع الظروف تطابق بعضها بعضاً . من اسم الملك قسطنطين . اما العسكر الذي جاء لدير مار مارون ليختطف اول بطريرك عليهم ؛ الى تسببهم موارنة خلقيدونيين ازاء اضطهادهم المسبّبين مكسيميين خلقيدونيين ؛ الى قيام بطريركهم الاول وهربه الى لبنان ؛ الى وجودهم كاثوليكيين ما قبل المجمع السادس وبعده ؛ الى عدم تحيزهم للملوك القسطنطينية ؛ وتحيزهم للكرسي الروماني الذي يعبّرون عنه بلفظة « الافرنج » .

٨ً لانه من قرية في ضواحي دمشق ولذا لقب بالدمشقي . وكان في دمشق للموارنة دير عظيم على اسم ابيهم القديس مارون وشعب عديد كما برهنا في هذا الكتاب[1] في معرض كلامنا عن دير مارمارون وعن جدال اساقفة الموارنة مع بطريرك واساقفة اليعاقبة في دمشق امام معاوية في سنة ٦٥٨ .

٩ً بما ان مؤرخي اليونان لم تذكره وبما ذلك الا بما انه لم يكن من حزبهم بل من طائفة مخالفة لحزبهم هي المارونية .

١٠ً بما انه حُرم لانه لم يؤيد تعليم مكسيموس (وليس بما انه ايده كما روى النص اذ ان الاساقفة الثلاثماية والثمانية والثلاثين الذين عقدوا مجمعاً زوراً في سنة ٧٥٤ مع قسطنطين لا يعقل انهم كانوا مونوثليين ليحرموا من ايد تعليم مكسيموس) اعني الذي وصل الى سوريا بواسطة المسيين واخجلوين مشوهاً فيما قيل من انه يعلن المشيئتين المتضادتين اللتين لم يقبلها رئيس دير مارون جرجس هذا ورهبانه وحزبهم بل رفضوهما

١) راجع الفصل الثاني من الجزء الاول من هذا المخطوط بعنوان : « فصل في دير القديس مارون في دمشق » .

واقروا باتفاقهما اي المشيئة الواحدة الادبية ولم يكن رأيهم هذا مخالفاً لتعليم القديس يوحنا الدمشقي بل مطابقاً له كما رأيت . فواخالة هذه تنطبق هذه الحقيقة على رئيس الطائفة المارونية اكثر مما على سواه . وهذا هو جرجس رئيس ديرهم وليس غيره .

١١ً ان مؤرخي البعاقبة يروون ان جميع الخلقيدونيين بقوا يعترفون بالمشيئة الواحدة الى زمان يوحنا الدمشقي وثاودورس ابي قره . ومن ثم لم يكونوا يؤيدون تعليم مكسيموس : الى ان قام القديس يوحنا الدمشقي ورفض التعليم بالمشيئتين المتضادتين واوضح تعليم مكسيموس الصحيح . وقام الموارنة يعلنون اتفاق المشيئتين وتحت زعامة رئيسهم جرجس فبلغ ذلك القسطنطينية وتوهموا انه مضاد لهم فحرموا اصحابه الاولين .

١٢ً اما البرهان الراهن فهو ان جرجس هذا يلقبه المخطوط بلقب «مار» المختص بالأسقف والدال عليه . والحال ان رئيس دير مار مارون كان في زمان تاوفيلكتوس اسقفاً كما يصرح التلمحري بقوله : ان رهبان دير مار مارون واسقف ديرهم . والحال ان المخطوط يصرح باسم هذا الاسقف رئيس الدير وهو جرجس . فما هو اذاً الا جرجس الذي حرمه المجمع الزور كما قلنا .

اما جرجس هذا رئيس دير مار مارون الذي كان في زمان استقلال الطائفة المارونية فاننا قد بحثنا عنه في كتب الطائفة القديمة فوجدنا اسمه الكريم في سلسلة بطاركتها بعد انفصالها وهو الثاني فيها . اما الاول فهو تاوافيلوس او تاوافيلي الذي كان البطريرك الأول من سنة ٧٣٥ الى سنة ٧٦٠ وبعده قام جرجس هذا المدعو فيها غريغوري . ولا ريب ان هذه السلسلة لا تذكر الا البطاركة الذين كانوا بعد الانفصال من دير مارمارون الى اواسط القرن العاشر بعد خرابه الذي حصل في سنة ٩٠٠ . وهي لا تذكر البطاركة الذين تولوا على الكرسي الانطاكي قبل الانفصال لانهم كانوا على جميع الخلقيدونيين . اما يوحنا مارون الاول فلانه كان قديساً ووقع على المذابح ويسمّى الدير باسمه .

اما اسم جرجس وغريغوري فهما سيان عند المؤرخين نظراً لترادفهما كتابةً في السريانية المكتوب فيها هذا الاسم . وهذه شهادة على ذلك من المؤرخ قسطنطين المنبجي صفحة ٣٣٣ حيث قال :

« في هذه السنة (٧٥٤) جمع قسطنطين ملك الروم جمعاً بقسطنطينية زهاء ثلثمائة اسقف في امر الصور التي في الكنائس ونظروا هل يجب السجود لها ام لا . فوافقوه انه غير واجب السجود لها وان ذلك لا يخل البتة . واحضروا شهادات من كتب الله المقدسة القديمة والحديثة . ومن مقالات الآباء وحرموا ايناسه بن منصور وغريغور القبرصي ووضعوا قوانين كثيرة وسمّوه المجمع السابع »[1] .

نرى في هذا النص اسم غريغور القبرصي وهو الشخص ذاته الذي سماه التلمحري وغيره « جرجس القبرصي » ومن ثم كان الاسمان يدلان على شخص واحد بعينه هذا . وعليه كان اسم جرجس رئيس دير مار مارون المذكور في المخطوط البريطاني : واسم غريغوري المذكور في سلسلة البطاركة المارونية يدلان على الشخص ذاته وهو رئيس الدير .

اما عدم ذكر المنيجي لغريغور الدمشقي فما ذلك منه الا بما انه ترجم كتابه عن مؤرخي اليونان ذويه وهؤلاء لم يذكروا جرجس هنا لانه لم يكن من ذويهم يونانياً بل من طائفة اخرى سريانية مخاصمة لهم هي الطائفة المارونية التي كان زعيمها في ذاك العصر . اما المؤرخان اليعقوبيان فانهما قد سمّياه جورجي وهو اسم جرجس ذاته المعطى لرئيس دير مار مارون في المخطوط البريطاني كما ترى .

اما سلسلة البطاركة التي ذكرت اسم جرجس او غريغوري هذا فهي السريانية القديمة العهد التي وقعت بيد المطوّب الذكر والفريد الدهر البطريرك اسطفانوس الدويهي وقد قال عنها هكذا : « ولكن وقع بيدنا كتاب كبير قديم جداً يتضمن الرتب لخدمة القداس الطاهر وهو لابن عمنا الشدياق انطون اخي المطران بولس ذي الذكر الصالح وفي قرب اواخر الكتاب مكتوبة فيه الخدمة التي يقرأها الشماس لكل يوم وفي التذكارات وهي التوبدانيات التي يقرأها الشماس بعد الصوت البسطاني منها عندما يذكر البطاركة الذين ماسوا خراف المسيح في ولاية الكرسي الانطاكي هكذا يقول : . . .

---

(١) Agapius Episcopus Mabbugensis, op. cit., p. 373.

ثم اننا نذكر ايضاً الرعاة الابرار والآباء القديسين الذين من بطرس حامة الرسل واول كل الرعاة اغناطيوس تلميذه وتاوفيلوس ويشوع وداود وغريغوريوس ودوميطيوس واسحق ويوحنا الذين خدموا مقدم رئاسة الكهنوت بالكنيسة المقدسة الكاثوليكية والرسولية في كرسي مدينة الله انطاكية القديس والمعظم لكي يرحمنا الله بصلواتهم المقدسة .

وفي التذكار الذي يليه وهو اطول من الاول مكتوب هكذا :

تاوفيلي وغريغوري واستفان ويرقس ولوسابيوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس وتاوفيلتوس ويشوع ودوميطيوس واسحق ويوحنا وسمعان واوميا ويوحنا وسمعان وسمعان والذين رقدوا الى الآن لكي يرحمنا الرب الاله بصلواتهم .

ان الاسم « غريغوري » وهو الثاني بين البطاركة في هذه السلسلة ما هو الا جرجس رئيس دير مار مارون كما برهنا . ومما يزيدنا تأكيداً في رأينا : انما هو وجود اسم غريغوريوس في هذه السلسلة . وقد كتب باحرف غير تلك التي كتب بها غريغوري ، وهذا دليل ان هناك شخصين مختلفين تكتب اسماؤها باحرف مختلفة اي الواحد غريغوري او جرجس والثاني غريغوريوس .

ولنا برهان آخر يدلنا ان اسم غريغوري ما هو الا اسم جرجس مما هو جار للان في سوريا من تسمية جرجس باسم جرجوره ، او جرجوري ، وهذا يدل على غريغوري هنا الذي ترجم عن السريانية بلفظ آخر هو جرجوره . وهذا هو اسم لجرجس مشهور لدى جميع الطوائف . ومثله قل عن اسم جورجي المستعمل لدى العموم للدلالة على جرجس .

---

١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ، للطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني ، نشرها رشيد الخوري الشرتوني ، بيروت ١٩٠٢ ، ص ١٧–١٨ .

٢) المرجع نفسه ، ص ١٩ .

اما هؤلاء البطاركة فلا ريب انهم من قبل مجيء الافرنج الى سوريا وقد اقر الدويهي ذلك ولا يمكن ان يكونوا بعد ذلك بدليل ما هو ثابت من وجود بطاركة موارنة منذ حلول الصليبيين في البلاد الشرقية . واولهم يوسف الجرجسي الذي كان على الكرسي المارونى الانطاكي في ايام البابا اوربانوس الثاني . من سنة ١٠٨٨ الى سنة ١٠٩٩ كما شهد الدويهي ذاته .

اما الكتاب الكبير القديم جداً الذي وجد فيه الدويهي هذه السلسلة فانه كان محفوظاً منذ القديم عند العائلة الدويهية الكريمة بكل حرص : ومن ثم قد استدللنا عليه من مخطوط مكتبة دير مار شليطا مقبس الذي وصفه الاب العالم ابراهيم حرفوش في المشرق (٦ : ١١٨) حيث قال :

« سنة ١٨٦١ يونانية (١٥٥٠ م) تممت هذا الاعتقاد بقرية شويتا بناحية عكار : من نسخة المطران انطون مطران الرعية : وكان على يد الفقير لله سمعان باسم شدياق انجيلي من قرية حلشيت : من جبة بشري . من جبل لبنان ابن النفس هارون ابن الخوري يوحنا ... (غير مقروء) . ثم انه قال في ختام الكتاب هكذا : « يا اخي هذا الكتاب ناقص من آخره لان النسخة كانت عتيقة من ثلثماية سنة »[1] .

فهذا دليل ان النسخة الاصلية انما هي من سنة ١٢٥٠ . ولهذا نقول ان الكتاب الكبير قديم جداً الذي وجده الدويهي وفي آخره سلسلة هؤلاء البطاركة هو من اخوات هذه النسخة ان لم يكن هي بعينها وذلك بدليل ان المطران انطون ، مطران الرعية ، هو الذي ارتسم كما قال الدويهي سنة ١٥٥٠ ، وهو انطون الحصروني وامه من العائلة الدويهية : وقد بقي وترى عند اخواله في اهدن حيث بقيت تركته من الكتب ، ومنها هذا المخطوط محفوظاً في اهدن الى زمان الدويهي ولما كان هذا الكتاب يحوي مواضيع شتى عن الموارنة ، مثل هذا المخطوط الذي يسميه الناسخ انه من نسخة المطران انطون كان من سنة ١٢٥٠ ، ولا ريب ان مواضيعه المختلفة قد اخذت عن نسخ اصلية كانت اقدم عهداً من تلك السنة . ولهذا نقول ان هذا المخطوط اصله من تأليف كتبه احد علماء الموارنة من القرن الحادي عشر . وما هو الا المطران داود صاحب التآليف المارونية في سنة ١٠٥٩ . ولا يمكن ان يكون اصل هذا الكتاب من سنة ١٢٥٠ اذا كان البطاركة الآخرون المذكورون فيه الاربعة اي ارميا ويوحنا وشمعون

١) المشرق ٦ (١٩٠٣) ص ١١٨ ، ١٢٣ .

هم ارميا العمشيتي الشهيد الذي توفي بعد سنة ١٢٣٠ ومن خلفه . لانه لا يعقل ان بين سنة ١٢٣٠ وسنة ١٢٥٠ التي فيها نسخ قام ثلاث بطاركة ومن ثم نقول ان اصل هذا المخطوط هو من قبل القرن الثالث عشر ومن اواخر الحادي عشر وان البطاركة المذكورين فيه قد تسنموا مقام البطريركية قبل مجيء الصليبيين اي قبل سنة ١١٠٠ . وقد اثبتنا ذلك في براهين اخرى في هذا الكتاب .

ومما يثبت ان الموارنة اخذوا بنسخ سلسلتهم القديمة في القرن الحادي عشر او في الثاني عشر نسخة الشرطونية كما جاء في نسختها المحفوظة في بكركي بخط المطران يوسف مبارك : « وجعلوا (الدويهي والمطرانان) اعتمادهم عن نسخة ارميا العمشيتي ١٢١٥ . ونسخة بخط يد العمشيتي محفوظة في مار سركيس اهدن . قوبلت مع نسخة المطران تادروس المكتوبة سنة ١٦٠٧ يونانية ١٢٩٦ م في دير سيدة العاقورا وكانت موجودة في دير مار اليشاع بشري » .

اما اذا كان هذا المخطوط ليس ذاك الذي نوهت بذكره حاشية النساخ من انه من ٣٠٠ سنة فما هو الا من ذاك الزمان الذي فيه اشتهر علماء الموارنة بنسخ وتدوين آثار اجدادهم وحوادث طائفتهم . وخاصة سلسلة بطاركتهم حتى قدسوها لرومية في سنة ١١٢٧ التي فيها « ترك مارون وامته الكنيسة الانطاكية وتبع الافرنج وكنيسة رومية» كما يقول مخطوط كنيسة الملابار الذي اشرنا اليه . وقد بلغنا انه يوجد نسخة لكتاب الطوبدانيات المارونية هذا الحاوي سلسلة البطاركة قديم جداً في بلدة العاقورة في اوائل القرن الثالث عشر من قبل البطريرك ارميا العمشيتي الذي كان ساكناً في بلدة يانوح قرب العاقورة في اوائل القرن الثالث عشر ، ثم انه نزل الى جهات حردين وميفوق حيث اقام البطاركة خلفاؤه مدة طويلة . ومما يدلنا ايضاً ان الموارنة اخذوا بنسخ كتبهم واثارهم القديمة في اواسط القرن الثالث عشر مخطوط فرض جنازات الرؤساء والكهنة والرهبان الذي نسخ سنة ١٢٦٦ وهو المخطوط التاسع والخمسون من المخطوطات السريانية . قد ذكره السمعاني والمطران اسطفان عواد ابن اخته في تاليفها الشهير فهرست المكتبة السريانية الفاتيكانية الجزء الثاني من المجلد الاول صفحة ٣٥٥ من الطبعة الباريسية الجديدة هكذا :

« LIX. Codex antiq. in fol. bombycinus, foliis constans 202, Syriacis Stronghilis °...°, exaratus °...°, ubi continentur ».

١ حدا وحصا وحا وحصا تحا حدا ٥/حصا اما حصا .

كتاب جنازات رؤساء الكهنة الاجلاء والرعاة والاساقفة الانقياء والكهنة .

Juxta Ritum Ecclesiæ Antiochenæ Maronitarum.

بحسب طقس كنيسة الموارنة الانطاكية

٢ حصا وحصا اسنا حا وتا :

ثم رتبة اخرى لجناز الرهبان بحسب طقس الكنيسة المذكورة الانطاكية المارونية .

Is Codex scriptus est an. Christi 1266, ut hæc ostendunt calligraphi verba, quæ f. 202, at leguntur.

قد نسخ هذا الكتاب في سنة ١٢٦٦ م. كما يوضح تصريح الناسخ المكتوب في الورقة ٢٠٢ على قفاها :

حا وهذا نولا حا سوسا وحصا — فليعلم كل من يقرأ على الخافي
صولا حسا سنه حتى سحسحسا — الذي كتب من اجل الله . سنة الف
سحسم سحه صم تسا وحصوصوصا — وخماية وسبعة وسبعين من سنين الاسكندر
ذ فحصصا . وحسم حدم سحسقا — ابن فيليبوس . وليكن ذكر لجميع
وحسسا اسم[1] . — المؤمنين بالمسيح . آمين .

ترى ان هذا المخطوط الذي نسخ في سنة ١٢٦٦ هو نسخة عن نسخة قديمة قبلها كان الموارنة يستعملها لصلاة فرض جنازهم للرؤساء والكهنة والرهبان . ومنه يتضح ان كتب الطائفة الخطية والطقسية كانت في اواسط القرن الثالث عشر قد عتقت ودثرت حتى سعى الرؤساء بنسخها من جديد حفظاً لها . ومن هذه المخطوطات هو مخطوط الطوبدانيات الذي كان منسوخاً في سنة ١٢٥٠ اي قبل النسخة التي يذكرها الدويهي بـ ٣٠٠ سنة وهي نسخة للطران انطون الحصروني .

اما هاتان النسختان اي فرض الجناز المخطوط في سنة ١٢٦٦ والطوبدانيات المخطوطة في سنة ١٢٥٠ وفيها ذكر سلسلة البطاركة الموارنة قد اخذتا عن نسخ قبلها قديمة اي من القرن الحادي عشر . ومما يثبتنا في رأينا هذا انما هو ان هذه النسخة لا تذكر احداً من البطاركة المعروفين في القرن الثاني عشر اي من سنة ١١٠٠ الى سنة ١٢٠٠ ولا يمكن ان يكون تأليف هذا المخطوط في سنة ١٢٥٠ ذلك بدليل ان فيه ذكراً لثلاثة بطاركة

١) Assemanus Joseph Simonius, Bibliothecæ apostolicæ Vaticanæ codicum manuscriptorum catalogus, Romæ 1758, t. 2, p. 353.

بعد ارميا العمشيتي الذي توفي في سنة ١٢٣٣ : والفترة بين سنة وفاته وسنة ١٢٥٠ غير كافية لوجود ثلاثة بطاركة . وعليها كانت نسختنا في القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر على الاكثر . بدليل انها لو كتبت في القرن الثاني عشر او بعده لكانت ذكرت بطاركة ذلك القرن .

ثم لنا برهان آخر وهو ان عادة الموارنة القديمة من قبل مجيء الصليب (بين) التي بمرجبها كانوا يذكرون جميع بطاركتهم السابقين في القداس قد بطلت منذ التصاقهم بالافرنج واتخاذهم عوائد وترتيبات الكنيسة الرومانية حتى لم يعودوا يذكروا منهم الا البطريرك الجالس وتلك . ولذا كانت هذه النسخة لطوبدانيات من القرن الحادي عشر اي من قبل مجيء الصليبيين . وقد اثبت الدويهي ان البطريرك ارميا العمشيتي قد نسخ جملة كتب مارونية منها الشرطونية التي بخط يده . كانت بيده وقد قابلها مع نسخة المطران تادروس التي من سنة ١٢٩٢ وغيرها : وجه ٨٥ و٨٦. فاذًا كانت كتب الطقس من قبل زمانه ومنها سلسلة البطاركة التي نحن بصددها .

اما مخطوط كتاب الجنازات الذي من سنة ١٢٦٦ فقد جاء في اخره بخط احدث منه هكذا «قري بهذا الكتاب المبارك المسكين جبرايل باسم مطران وكلمن يقرا يترحم عليه »

اما هذا المطران جبرايل فما هو الا جبرايل حجولا وذلك ان البابا اينوشنسيوس الرابع كتاب[1] هذا الاسقف مؤرخ في سنة ١٢٣٤ فيه يجيبه على عريضة بان تنتسبه الى ابرشية حجولا كما العزل عنها مناط بالبطريرك الماروني الذي رفعه الى هذا الكرسي عن جدارة . ونحن اثبتنا هذا الكتاب في كتابنا الافرنسي « رومية والكنيسة الانطاكية المارونية »[2] .

ومن ثم يتضح ان رسامة هذا المطران جبرايل حجولا كانت في تلك السنة ١٢٤٣ . وانه صادق على كتاب الجنازات بعد كتابته اي بعد سنة ١٢٦٦ . وهنا لا بد لنا من التصريح بان هذا المطران هو البطريرك جبرايل حجولا الذي روى لوكيان[3] : وصاحب كتاب الارض المقدسة انه صار

---

١) راجع نص هذا الكتاب في Assemani T., *Bullarium Maronitarum*, Romae 1911, p. 8.

٢) راجع كتاب المؤلف المطبوع *Rome et l'Eglise Syriens-Maronite d'Antioche*, Beyrouth 1906, pp. 84-101.

٣) Le Quien, *Oriens Christianus*, Paris 1740, t. 3, col. 61-62.

بطريركاً في سنة ١٢٩٠ . وقد حرقه الاسلام في طرابلس في سنة ١٢٩٦ وذلك في اضطهاد شديد للطائفة المارونية التي كانت ولت الافرنج عليهم في البلاد حتى اذا ما تحولت وانكسرت الافرنج في سنة ١٢٨٧ تحوّل غضب المسلمين ضد الطائفة المارونية فانتقموا منها واشهروا عليها الاضطهاد واحرقوا بطريركيها جبرايل المذكور . فحرقوه في طرابلس واستولوا على جميع خيراتها واملاكها في جهات بيروت وكسروان حتى لم يبقَ من الموارنة في جهات كسروان قاووا الى جهات البترون واجبة .

وقد جاء في حاشية التشمشت في كنيسة العاقورا بخط الخوري يوسف الدحداح عن تاريخ المطران تادروس عن هذا الاضطهاد هكذا « فلما كان في تاريخ سنة ١٢٨٩ في ٢٥ نيسان نزل الملك الظاهر في جيوش وعساكر وسليمانية لمدينة طرابلس وفتحها وسبى وسبى حريمها وفتح الاجبال وقتل النصارى كثير وصار ضيق على النصارى» .

اما قول الدويهي في تاريخه[1] بان البطريرك جبرايل حجولا استشهد في سنة ١٣٦٧ فما هو الا غلط من النساخ الذين بدلوا عدد ٢ بعدد ٣ في التاريخ بدليل وجود الاثر المذكور هنا رسامته في سنة ١٢٤٣ وبدليل ان الاضطهاد الذي حصل وخراب كسروان الذي وقع كان في اخر القرن الثالث عشر بعد تقلص الصليبيين من لبنان كما روت التواريخ وليس في اواخر القرن الرابع عشر .

اما تنصيب هذا البطريرك فكان بعد سنة ١٢٧٧ التي فيها كان البطريرك شمعان بعد حياً كما قال الدويهي في سلسلة البطاركة[2] : انه لم يعلم بمن خلفه وهو قد خلفه دانيال في سنة ١٢٨١ .

وخلف هذا البطريرك جبرائيل في سنة ١٢٩٠ .

فاين هذه الحقيقة الراهنة اذاً عن وجود البطاركة شمعون وداتيال وجبرائيل بعد ارميا في اواخر القرن الثالث عشر من قول الدويهي بان البطاركة الاربعة الاخيرين من السلسلة السريانية هم ارميا العمشيتي والذين خلفوه توًا الواحد بعد الاخر .

وهل يعقل انّ هذه السلسلة هي من بعد ارميا العمشيتي وقد اهمل فيها

---

١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي ، ص ٢٩ .
٢) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

ذكر جميع بطاركة القرن الثاني عشر وخاصة البطريرك جبرائيل حجولا الذي لم يزل ذكر قداسته واستشهاده حياً في الطائفة .

لا لعمري . بل ان هذه السلسلة السريانية هي من القرن الحادي عشر والبطاركة المذكورين فيها هم جميعاً وبدون استثناء احد منهم من القرن الحادي عشر وما وراءه . اي من قبل مجيء الصليبيين الى لبنان . ولا يعارض ذلك قول الدويهي العلامة القديس اذ انه لم يسند وجود البطاركة الاربعة الاخيرين منها الى زمان ما بعد مجيء الصليبيين الا من رسائل البابوات المكتوبة باسماء بطاركة هم ارميا وشمعون الخ .

وما هذا ببرهان قاطع لان هذه الرسائل وان كتبت لارميا العمشيتي وشمعون فليست ذلك بدليل ان هؤلاء هم المذكورون في السلسلة السريانية .

وقد رأيت ان لا برهان للدويهي بهذا الخصوص سوى تلك الرسائل . ولكن من اي زمان تبتدئ هذه السلسلة وفي اي زمان تنتهي ؟ فجوابنا اولاً انها سلسلة بطاركة الموارنة وهذا مما لا ريب للبراهين التالية :

١ً لانها وجدت عند الموارنة منذ القديم وليس فقط انهم قد اعتبروها انها لبطاركتهم بل انهم قد حافظوا عليها رغماً عن تقلبات الزمان ودونوها في خدمة قداسهم وصلواتهم حتى اتصلت نسختها القديمة الى الدويهي وقد تركها لنا في سلسلته .

٢ً لانها ليست لاحدى الطوائف غيرها ، كاثوليكية كانت ام اراتيكية ونحن قد قابلناها مع جميع سلسلات الطوائف فوجدناها مختلفة كثيراً بنوع انها غيرها تماماً .

وبينما ان سلسلتنا هذه فبعد ذكرها بطرس الرسول في انطاكية والبعاقبة من المجمع الخلقيدوني والنساطرة من الافسسي .

ان سلسلتنا هذه فبعد ذكرها بطرس الرسول وتلميذه اغناطيوس تنتقل الى ذكر بطاركتنا من بعد استقلالهم لوحدهم وانشقاقهم عن الملكيين اي منذ سنة ٧٣١ التي فيها قال التلمحري « وقد بقي الموارنة هم هم للان ينتخبون بطريركاً واساقفة لنفسهم من ديرهم »[1] وهي لا تحتوي من البطاركة القدماء الا الذين كانوا يسكنون في انطاكية او في دير مار مارون منذ تلك السنة الى سنة ٩٤٩ التي فيها ترك البطريرك يوحنا مارون الثاني انطاكية ونقل

(١ Michel le Syrien, *op. cit.*, t. IV, p. 467.

كرسبه الى يانوح في المنيطرة من لبنان حيث بقي نبائياً . وقد خلفه البطاركة وركزوا مقامهم في جبل لبنان من ذلك الحين الى ايامنا هذه بدون انقطاع .

اما عدد البطاركة التي تذكرهم السلسلة السريانية فهو تسعة عشر بطريركاً كما ترى في النص وهو عدد كاف ووافٍ للمدة المعينة بين سنة ٧٣١ وسنة ٩٤٩ . بحيث يكون معدل سني كل منهم في البطريركية نحو تسع عشرة سنة . وهذا هو الصواب ولا سبيل الى الاعتراض عليه .

اما من سنة ٩٤٩ ، اي سنة مجيء البطريرك يوحنا مارون الثاني الى لبنان الى زمان الصليبيين فقد وجد العلامة الدويهي كراساً سريانياً قديماً جداً يذكر اربع بطاركة لوحدهم وهم الاولون الذين اقاموا في لبنان . ومن ثم كانوا هؤلاء خلفاء وتتمة بطاركة السلسلة الاولى السريانية التي نحن في صددها . وهاك ما قال الدويهي في هؤلاء البطاركة الخمسة في سلسلته :

« يوحنا مارون ...

ثم خلفه ابن اخته كوريوس كما هو محدد في قصة خاله .

ثم عقبه في الرئاسة على الكرسي الانطاكي جبرائيل على ما وجدناه في النسخ القديمة ...

ومن بعد جبرائيل صُيّر يوحنا . وعندما دنا هذا من الموت اخلى الكرسي الى يوحنا اخر ، اصله من قرية دملصا من عمل جبيل كما هو مدوّن في الاخبار القديمة عن يوحنا الذي تقدم ذكره انه لما قارب الموت جمع جميع كهنة جبل لبنان واقام لهم بطريركاً بدله يدعى يوحنا من قرية دملصا ...»

« فهؤلاء البطاركة الخمسة المتقدم ذكرهم امرهم واضح . انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان وانهم تخلفوا بعد توافان من الرسالة التي في سنة الف واربعماية وخمسة وتسعين شيّعها جبرايل ابن القلاعي الى القس جرجس بن بشاره في الفصل الحادي عشر »[1] .

ان السند الذي يستند عليه الدويهي بان هؤلاء البطاركة قد خلفوا توافان انما هو قول ابن القلاعي . اما هذا فليس بسند يركن اليه ولا ترى صحة له . وقد كذبته رواية الدويهي الراهنة التي تثبت ان يوحنا مارون الثاني . وهو الاول من الخمسة ، قد نقل من انطاكية الى لبنان في سنة ٩٤٩ فكيف يكون قد خلف توافان وهذا قام سنة ٦٨١ وتوفي ٦٨٥ كما تكذبه

1) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي ، ص ١٢–١٧ .

ايضاً قصة يوحنا مارون الثاني التي وجدت في كنيسة دمشق . وفيها يروي ان هذا هو ابن اخت كرلنايو . وهذا الملك توفي بعد سنة ٨٠٠ .

ومن ثم كانت هذه القصة عن يوحنا مارون الثاني الذي جاء الى لبنان في سنة ٩٤٩ . وربما انه الاول بين البطاركة الذين سكنوا في جبل لبنان : توهم ابن القلاعي وغيره انه الاول في البطاركة منذ القديم . ولذا قد وقع الغلط والخلط بخصوصه كما ترى .

ثم اتى الدويهي بالسند الآخر لوجود هؤلاء البطاركة الخمسة فقال :

« ووجدنا ايضاً ذكرهم في كراسة سريانية كانت عند المغفور له البطريرك جرجس من قرية بسبعل قد نسخها داود بن ابراهيم في سنة ١٦٢٤ نيسان (١٣١٣ م) فتكون اقدم من تحرير ابن القلاعي بمائة وثمانين سنة (وفي نسخ اخرى قال عرض علينا اخونا المطران جرجس ولد حبقوق وغيره[1] . »

اما كيفية وزمان مجيء البطريرك يوحنا مارون الثاني الى لبنان فقد اوضحهما الدويهي في تاريخه . تاريخ الازمنة : وهو مخطوط في خزانة البطريركية ولدينا منه نسخة قديمة فقال : « وفي هذه السنة ٣٢٧ د (٩٤٩م) وهي السنة السادسة لدرغول كانت نقلت البطريرك يوحنا من انطاكية الى جبل لبنان من جور المسلمين . ثم انه قصد زيارة القدس الشريف والمواضع المقدسة فلم تتركه المسلمون كما وجدنا في التواريخ السريانية : بل انه مضى الى يانوح : وكانت يانوح من اشرف القرى والمجالس بجبة المنيطرة واهلها كثيرين الغيرة والعبادة . فابتنوا دير مار جرجس من الحجر الازرق في غاية الصنعة والشرافة وهو الى يومنا هذا باقي : لكنه خالياً وقد اتوا شتى من غير المؤمنين لينقلوا حجارته فلم يتركهم الله .

« ثم ان البطريرك يوحنا لما قرب اجله جمع جميع كهنة البلد واقام لهم بطريركاً آخر باسمه من قرية دملصا »[2] .

ثم ان السعيد الذكر فقيد العلم والوطن والكنيسة المطران بولس شبلي قد عثر على اثر قديم العهد : مكتوب باللغة السريانية بين اوراق الطيب

---

١) المرجع نفسه : ص ١٧ .

٢) كان لدى الآباء برنردوس نسخة من مخطوط تاريخ الازمنة نسخها الخوري الياس مركيس من حبه سنة ١٧٨٠ . نجهل مصير هذا المخطوط الآن .

الذكر والاثار البطريرك بولس مسعد في خزانة الكرسي البطريركي في بكركي وهو من قبل الدويهي بكثير ؛ وربما كان من بقايا الكتب التي استند اليها هذا العلامة . وفي هذا الاثر الدائر خبر مجيء البطريرك يوحنا مارون هذا الثاني الى لبنان وسكناه في يانوح في السنة السادسة لدرغول . اما السنة العمومية فمطموسة فيه قليلاً . وربما ان احرف الغين والجيم في السريانية هما واحد . قد كتب ناسخ تاريخ الدويهي في العربية اسم درغول باسم آخر هو درجول .

ثم ان السعيد الذكر شبلي ظن ان اسم درغول هو طغرلبك الذي حكم في اواسط القرن الحادي عشر . الا اننا لسنا من هذا الراي ذلك لان المخطوط القديم الذي اخذ عنه الدويهي روايته هذه يعيّن ويحدد السنة وهي ٩٤٩ اي ٣٢٧ هجرية . واذا كانت النسخة التي وجدها السعيد الذكر شبلي غير مفهومة فيها السنة العمومية فان الدويهي قد قرأها جيداً قبله بثاثي سنة . فلا سبيل الى الاقتراض لدى وجود الحقيقة .

اما اسم درغول الذي كانت له السنة السادسة في الحكم لما نقل البطريرك يوحنا مارون من انطاكية الى لبنان فاننا رغماً عن كثرة البحث والتفتيش في المكاتب والكتب والتواريخ لم نهتد الى هذا الاسم الى ان تنجنا من تفتيشنا انه لقب للملك والسلطان الاخشيدي الذي حكم سوريا منذ سنة ٩٤٠ كأن هذا اللقب هو غير عربي ولربما انه اسم الجور اي انه كان هناك جور على النصارى وقد بقي مدة مستطيلة حتى اضطر البطريرك يوحنا مارون الى الهرب من انطاكية والالتجاء الى لبنان مخبأ الموارنة .

او انه لقب لاحد الحكّام الذي كان يعرف عند النصارى بالكذاب اي الدجّال في السريانية .

ولنا في حوادث اواسط القرن العاشر دليل على صحة خبر هجرة يوحنا مارون الى لبنان تخلصاً من الظلم والاضطهاد . وذلك لان الروم تحت قيادة قائدهم الشهير يوحنا كوركوس كانوا منذ سنة ٩٤٠ قد استولوا على سوريا ومدنها العظيمة وكسروا العرب في جميع [الجهات. فحنق هؤلاء على النصارى الموجودين في سوريا واخذوا يضطهدونهم حيثما وجدوهم حتى اذا ما كانت سنة ٩٦٩ حرقوا بطريرك اليونان الانطاكي خريستوفوروس تاوافانوس ولا بد انهم قد اضطهدوا النصارى وما بينهم الموارنة حتى حجر البطريرك يوحنا مارون انطاكية حيث كانت حياته في خطر والتجأ الى جبال لبنان حيث

الامن بين اولاده . ولم يكن المضطهدون ليعلموا مكانه لينالوا منه مرامهم .

اما قول النص ان البطريرك اراد الذهاب لزيارة القدس الشريف ولم يسمح له المسلمون فما ذلك الا لانه كان له هناك شعب يريد افتقاده لان الموارنة كانوا في القدس من زمان الخلفاء.

وقد اخبرني جورج بك زوين نائب كسروان الافخم ان لديه نسخة عن فرمان من احد الخلفاء العظام نسخه بيده عن نسخته الاصلية الموجودة في دير الروم في القدس فيه يأمر الخليفة ان يقدس في كنيسة القيامة كل يوم ثلاث كهنة : من الكنيسة الحفاة . وواحد من كنيسة الموارنة واثنان من كنيسة الجيورجيين .

اما يوحنا مارون هذا البطريرك فانه المذكور في ابتداء هذه السلسلة وليس الذي في آخرها والاخير فيها بل الاول . وقد اخطأ وتوهم من ظنّه الاخير فيها بدليل ان الدويهي صرّح وقال : « فيرى الاء البطاركة الخمسة المتقدم ذكرهم امرهم واضح انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان »[1] .

وحقاً ان الدويهي لم يقل ذلك الا لما قراه عنهم في المخطوط القديم العهد الذي نسخه داوود ابن ابراهيم في سنة ١٦٢٤ يونانية . اي سنة ١٣١٣ م. ويستدل ذلك ايضاً مما جاء في قصة البطريرك يوحنا مارون رئيس الامة المارونية التي ذكرها المخطوط القديم الذي كان في كنيسة دمشق وعنه اخذها الدويهي من ان هذا البطريرك كان ابن اغاثون ابن اليديوس ابن اخت كرلومانيو ملك فرنسا . وبما ان هذا الملك كان في القرن الثامن وتوفي في سنة ٨٠٢ يكون زمان ابن اخته من القرن العاشر اي حوالي سنة ٩٤٩ التي فيها يقول النص ان هذا البطريرك جاء الى لبنان وليس من القرن الذي بعده وذلك لبعده الغير المعقول عن اصله الملك كرلومانيو.

اما هذه القصة المنسوبة الى رأس الطائفة المارونية الاول فانها ليست منطبقة على يوحنا مارون الاول الذي كان بين سنة ٥٦٠ وسنة ٦٥٠ وكان بطريركاً على جميع الخلقيدونيين من سنة ٦٣٠ الى سنة ٦٥٠ قبل انفصالهم الى طائفتين مارونية ومكسيمية وكان اول بطريرك خرج من دير مار مارون وينتمي اليه ، ومنه اشتهرت المارونية والدير وبه عرفت .

بل البطريرك الماروني الاول في لبنان الذي نقل كرسيه الانطاكي من

---

١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي ، ص ١٧ .

انطاكية الى لبنان وذلك واضح مما جاء فيها من الامور التاريخية التي يتعذر تصديقها على شخص كان في القرن السابع . اي قبل الملك كرلومانيو بقرن تام . وتصدق تماماً على آخر غيره قد عاش في القرن العاشر . وهذا البطريرك يوحنا مارون الثاني ما هو الا البطريرك الاول في هذه السلسلة الخماسية لبطاركة الذي جمع الطائفة في لبنان ورتبها ونظم ادارتها .

ونكرر القول ان هذه السلسلة انما هي تكملة وتتمة السلسلة السريانية الاولى التي ذكرناها . الا انها وجدت لوحدها ليس لانها غريبة عنها بل للدلالة على البطاركة الذين اقاموا في لبنان كما تصرّح التواريخ التي خصّصها الدويهي بقوله : ان هؤلاء البطاركة الخمسة امرهم واضح وانهم كانوا ساكنين في جبل لبنان .

والحال كيف يكونون قد اقاموا في لبنان ويكون الاخير منهم هو الذي نقل الى لبنان اولاً في سنة ٩٤٩ كما توهم بعض علمائنا للان ؟

وبناء عليه قد اصبح من المقرر عندنا ان السلسلة السريانية التي وجدها الدويهي في الكتاب الكبير جداً انما هي سلسلة البطاركة الموارنة بعد الانفصال منذ ٧٣٠ الى سنة ٩٤٩ ، وعددهم تسعة عشر بطريركاً وهم الذين كانوا من دير مار مارون وكانوا مقيمين في انطاكية وفي الدير .

ثم ان السلسلة الثانية السريانية الخماسية انما هي تتمة الاولى وهي تدل على البطاركة الاولين الذين كانوا مقيمين في لبنان واولهم يوحنا مارون الثاني الذي اقام الكرسي فيه بعد ترك انطاكية في سنة ٩٤٩ كما رأيت .

اما زمان تنصيب هؤلاء الخمسة فنجهله الا اننا استدللنا مما تقدم انهم كانوا من سنة ٩٤٩ الى حوالى سنة ١٠٨٨ التي فيها قام البطريرك يوسف الجرجسي وذلك استناداً الى الكراس السرياني الذي دوّن اسماءهم واقامتهم في لبنان ولان قلة عددهم غير كافية حتى يكونوا قبل السلسلة السريانية وزمان بطاركتها اي من سنة ٧٣٠ الى سنة ٩٤٩ .

اما ذكر هؤلاء البطاركة الخمسة في السلسلة الموجودة في الطائفة في اولها ، اي قبل اولئك الذين تذكرهم السلسلة السريانية ، فما هو الا خطأ وغلط . كما انه خطأ فاضح ترك او نسيان بطاركة السلسلة السريانية في السلسلة الموجودة للان . قلنا ومن هذا الترك والنسيان حصل الاشكال في صحة هذه السلسلة وضبطها والتشويش فيها .

اما الجمع بين هاتين السلسلتين السريانية الاولى والسريانية الثانية فانه يجعل عدد البطاركة اربعة وعشرين وذلك لتزمن . من سنة ٧٣٠ الى سنة ١٠٨٨ وهذا مطابقاً من جميع الوجوه ولا اشكال فيه البتة واثبت تاريخياً لتوفر المستندات عليه ازاء السلسلة الشهيرة للاذن التي كثر التعليل عليها وقلّت مستنداتها الراهنة .

اما اذا كان المجمع اللبناني[1] قد اثبتها فما ذلك الا ان اباءه قصدوا بها الدلالة على بطاركة الطائفة الذين اقاموا في لبنان فقط دون ان يتوخوا ذكر الذين منهم كانوا في انطاكية وفي دير مار مارون فضلاً عن ان الآثار التي بين ايدينا لم تكن متوفرة لديهم ولم يتحصوها كما يجب .

اما يوحنا مارون القديس الاول الذي كان من سنة ٥٦٠ الى سنة ٦٥٠ كما اثبتنا في مقالتنا فيه فانه كان بطريركاً على الاظهر على الموارنة والخلقيدونيين سوية قبل الانفصال . ولم تذكره السلسلات التي قدمناها لانها شاءت التصريح بالبطاركة الخاصين بها بعد استقلالها ازاء بطاركة المكسيميين بعد الانفصال كما انهم لم يذكروا غيره لمن خدم البطريركية من سنة ٦٣٠ الى سنة ٧٣٠ كأن بطريركتهم لم تكن قانونية وشرعية امام القسطنطينية التي ما زالت تنتخب فيها بطاركة للكرسي الانطاكي ولم تعرف البطاركة السوريين الذين انتخبهم الاكليروس الانطاكي في تلك الحقبة من الزمان.

اما البطاركة الذين تقرروا وانتخبوا على انطاكية من حزب رهبان مار مارون ومن حزب المكسيميين بعد انفصالهم فقد عرفوا وتقرروا واشتهروا لدى الجميع وقد حافظ كل من الفريقين على سلسلته الخاصة يعلن فيها ان حقه على الكرسي الانطاكي انما هو له كما انه خصمه . وان البطريركية الانطاكية الخلقيدونية قد انقسمت الى شطرين : الاول لحزب مارون ؛ والثاني للمكسيميين وقد بقي كلا الفريقين يقابل خصمه بهذه السلسلة اثباتاً على حقه في البطريركية .

وقد رأيت في نص التلمحري ان النزاع بين المكسيميين ورهبان مار مارون لدى انتخاب البطريرك تاوافيلكتوس كان من اخص اسبابه السلطة البطريركية حتى رفضه رهبان مار مارون وحزبهم « وبقوا ينتخبون لهم بطريركاً واساقفة من ديرهم »[2] .

---

١) المجمع اللبناني المنعقد في دير سيدة القرزه سنة ١٧٣٦ .

٢) Michel le Syrien, *op. cit.*, t. III, p. 511; t. IV, p. 467.

فهذا هو السبب الذي من اجله لم تذكر سلسلة الموارنة القديمة القديس يوحنا مارون الاول . اول بطريرك كان من دير مار مارون .

وقد دلوا بهذه السلسلة على استقلالهم الديني والاداري وهذا الاستقلال لم يتم في زمان يوحنا مارون الاول هذا بل بعده بنحو مائة سنة اي في سنة ٧٣٠ .

ونحن نرى ان كل ما نسبه تقليد الموارنة الى يوحنا مارون الاول هذا انما يجب نسبته الى يوحنا مارون الثاني الذي جمع الطائفة في لبنان ونظمها ورتب امورها وطقوسها وفصلها وميزها عن سائر الطوائف خاصة المكسيمينية منها لانه الى زمانه كانت الطائفتان واحدة ملكيدونية تحت ادارة بطريركين واساقفة خاصين بهما حتى اعلن يوحنا مارون اسم المارونية لطائفته مجردًا كما اعلن المكسيمينيون اسم الملكية لطائفتهم مجرّدة ورفع الالتباس وصارت كل طائفة مميّزة عن شقيقتها من ذلك الحين الى الآن .

ولا بد لنا هنا من زيادة الايضاح بان يوحنا مارون هذا الثاني لم يترك انطاكية ويجيء الى لبنان حيث يثبت كرسي بطريركيته الا لما كان يلحق رعيته المنتشرة في جهات انطاكية وحلب وسوريا الشمالية من الظلم والحيف من الاسلام بسبب محاربة الروم لهؤلاء وعداوتهم . وقد اشتد القتال بين الفريقين لما غار القائد يوحنا كركوس وهو على الاصح اسم درغول المصرّح به في نص الدوبهي بجيوش الروم على سوريا وقتل الكثيرين من الاسلام واستولى على اعظم مدن سوريا الشمالية فما كان من الاسلام الا انهم كانوا ينتقمون من النصارى خاصة الموالين للروم .

ولما كان اسم الروم اي الخلقيدونيين الملكيين يُطلق على الموارنة سوية قد اخذ الاسلام هؤلاء بانهم من الروم ويشاركونهم ويتحدون معهم عليهم مساعدة لجيوش القسطنطينية . وكان بسبب هذا الجور قد التجأ معظم الموارنة من سوريا الشمالية الى جبل لبنان الحصن الحصين قد رأى بطريركهم يوحنا مارون ان يحمي طائفته من ذلك الجور ولم يجد سبيلاً الى ذلك الا بنقل كرسيه الى لبنان .

وهذا ما نوّه به النص بقوله : كانت نقلة يوحنا مارون من انطاكية الى لبنان من جور الاسلام . ولم نرَ في التواريخ جورًا من الاسلام مثل الذي حصل في القرن العاشر .

ثم انتا لزيادة الايضاح على ان السلسلة السريانية المذكورة هي لبطاركة الموارنة الذين كانوا منذ الاستقلال فصاعداً انما هو البطريرك الثاني المذكور فيها وهو غريغوري اي جرجس وهذا ليس الا رئيس دير مارمارون الذي ذكره المخطوط البريطاني انه كان رئيساً على هذا الدير في سنة ٧٤٥ واشار اليه نص التلمحري بقوله « اسقف ديره ».

ولما كان البطريرك الاول فيها تاوفيلي (وليس تاوفانوس الذين كان بطريرك انطاكية من سنة ٦٨١ الى ٦٨٥) قد عمّر الى نحو سنة ٧٦٠ وبما ان جرجس رئيس الدير هذا كان زعيماً عظيماً ومؤسساً لتعليم الموارنة واسقفاً وقد امتاز ببسالته في ذلك الاضطهاد الذي اجراه على رهبانه البطريرك تاوفيلكتوس وقد زادت شهرته في الطائفة وباتت قداسته لدى الخاص والعام خاصة بسبب تلك المعجزة الربانية التي اجراها الله في ديره اثباتاً لتعليمه الديني كان خليقاً باساقفة الموارنة وحزبهم بعد وفاة بطريركهم الاول تاوافيلي ان ينتخبوه بطريركاً على الكرسي الانطاكي خاصاً بهم واي أحق من كان احق واولى بهذا المنصب السامي من هذا الاسقف والرئيس العظيم في تلك الظروف ومما اجمع اراء الاساقفة الموارنة على انتخابه ليس ما رأوه من شهرة تمسكه بارائهم وغيرته على كنيستهم والذود عن استقلالهم فقط بل من محاماته عن عبادة الصور التي بسببها قد حرمه مجمع الزور الذي عقده الملك قسطنطين ابن لاون الكافر في سنة ٧٥٤ مع هرمنيم للقديس يوحنا الدمشقي وجرجس القبرسي كما برهنا.

ولما كان الثاني في السلسلة وكان قبله البطريرك تاوافيلي كان هذا الاخير قد انتخب بطريركاً على الموارنة قبل انتخاب تاوافيلكتوس على الملكيين وذلك لانه كان اسقفاً ورئيساً لدير مار مارون في زمان تاوفيلكتوس كما صرّح التلمحري..

ومن ثم لو كان انتخاب بطريرك الموارنة بعد انتخاب تاوافيلقتوس لكنت ترى الاسقف جرجس هذا اول بطريرك في سلسلة الموارنة وهذا مما لا ريب فيه. ذلك لان رهبان مار مارون وحزبهم كانوا ينتخبون رئيس ديرهم بطريركاً عليهم وهذا مما لا يمكن الاعتراض عليه كما صرّح التلمحري بقوله انهم ينتخبون بطريركاً من ديرهم. ولا حاجة الى التكرار بانهم تمسكوا بهذا الانتخاب لانه كان حقاً مقدساً لديرهم منذ القديم اي منذ ايام هرقل ان كان جميع الخلقيدونيين الانطاكيين يخضعون لهذا الدير وعلى

رأي رهبانه ولم يكن تعليم مكسيموس قد دخل عليهم وسبّب انقسامهم وانشقاقهم حتى انشطروا الى كنيستين مستقلتين ببطريركها واساقفتها كما بارائها الدينية وهذا ما صرّح به التلمحري من ان الخلقيدونيين المتجادلين في سنة ٧٢٧ كانوا الى ذلك الوقت كنيسة واحدة .

اما بعد زمان هاتين السلسلتين ولدى مجيء الصليبيين الى لبنان فكان بطريركاً على الموارنة يوسف الجرجسي الذي قال عنه الدويهي هكذا : « ويذكر ابن القلاعي في الرسالة التي انفذها الى البطريرك شمعون الخندقي في سنة ١٤٥٤ اما البطريرك يوسف الجرجسي كان قاطناً في قرية يانوح (حيث كان البطريرك يوحنا مارون الثاني قد نقل كرسية الانطاكي منذ سنة ٩٤٩ ويظهر ان يوسف هذا البطريرك هو الاخير من البطاركة الذين ثبتوا في يانوح وقد نزح منها الى جهات جبيل الساحلية بعد حلول الصليبيين حتى يخالطهم ويصادقهم ويساعدهم) وان قصاده وصلوا الى رومية مع قصاد الملك غدفراد وانه قبل التاج والعصى من صاحب الكرسي الروماني مع التثبيت »[1] .

وعن هذا البطريرك وموالاته لرومية وما جرى بينه وبينها بواسطة الصليبيين روى تاريخ كنيسة الملبار السرياني المخطوط في مكتبة اوكسفورد[2] وقد رأينا فقرته بخصوص الموارنة عند سعيد الذكر المطران بطرس شبلي وهذه هي : انه نحو سنة ١١٢٧ قد انفصل مارون وامته عن البطريركية الانطاكية وتبع الافرنج وكنيسة رومية » .

ان بطريرك اليعاقبة اغناطيوس الثالث لما ارسل صور اعتقاده الى البابا زخيا الرابع سنة ١٢٤٧ اشترط ان يستمر محافظاً على طقسه ولغته

---

١) ان المؤلف استند الى مخطوطه في نقل هذا النص . راجع تاريخ الأزمنة لبطريرك اسطفانوس الدويهي ، نشره الاب فردينان توتل اليسوعي : بيروت ١٩٥١ ، ص ١١ .

٢) Bod. Or. 667, cf. Smith R. Payne, *Catalogi codicum manuscriptorum Bibliothecae Bodleianae*, codices syriacos, cuphmicos, mendaeos, Oxford 1864, coll. 264-268.

اما النص السرياني فهو التالي :

٣ £ 25 حمد هكه مصلا حد . صاوم مؤنمكها حمؤسا محمحصا . مهلا صنوماه مصهد حمصلاه وحجا . لمانتا حمد قد منيده حب لمؤا وحجم . مع حمؤصا فؤنصا وانهب . ملمحمد هه حصحا وؤمص .

Revue de l'Orient Chrétien, XVII (1912), p. 78

وعوائده وان لا يخضع لبطاركة اللاتين ولا يردي لهم الريشيت وان لا يجبر منه على اخذ سر التثبيت تكرارًا كما جاء في الزهرة الزكية و[جه] ٧٠ .

فمن هذا النص يظهر ان بطريرك الموارنة في سنة ١١٢٧ قد تبع اوامر الافرنج اي رومية في جميع هذه الامور حتى تنبه اليها البعاقبة ورفضوها لما خضعوا لرومية .

حقاً ان هذا النص هو اثمن ما وجد بحق الموارنة وكتلكتهم لانه من قبل رواية غليلموس الصوري بزمان . وفيه اثبات لكثلكة الموارنة الى اوائل القرن الثاني عشر وخضوعهم لرومية الى ذلك الزمان وذلك لانه لا يشير الى هرطقة جحدوها بل الى مجرد خضوعهم عفوا ومن تلقاء انفسهم الى الكرسي الرسولي الروماني حتى ان البابا عرف هذا البطريرك الماروني واهداه تاجاً وعصاً وخاتماً دلالةً على رضاه عليه وعلى طائفته ومن ذلك الحين اخذ الموارنة باستعمال بعض امور في طقوسهم وترتيبهم طبقاً لطقوس ورتب الكنيسة اللاتينية بعد ان رفعوا بعض الطقوس والرتب التي كانت عندهم من الزمن القديم . وما ذلك منهم الا لشدة تمسكهم بكرسي رومية وقد توهم بعض علماء الموارنة ان هذه الحادثة قد جرت ليوحنا مارون في ايام البابا انوريوس الثاني من ١١٢٤—١١٢٠ .

اما نحن فنرى من ذكر البابا انوريوس وهو الثاني في تلك القصة انها جرت في ايام البابا اوربانوس الثاني . اي من سنة ١٠٨٨—١٠٩٩ في ايام هذا البطريرك الجرجسي . ومما يثبت ذلك ان الدويهي قال ان براءة البابا اوربانوس الثاني لهذا البطريرك كانت محفوظة في قنوبين الى ايامه . ويظهر ان هذه البراءة قد بقيت في الكرسي البطريركي ولم ترسل الى رومية مع غيرها من براءات الباباوات سهواً ثم انها ضاعت بعد الدويهي حتى لم يعثر عليها احد .

ومن ثم نرى ان اسم البابا اونوريوس مصحف من النساخ عن اسم اوربانوس نظراً لترادف هذين الاسمين . وقد قال السعيد الذكر المطران يوسف دريان صفحة ٢٩٦ عن هذا البطريرك : « ومما يروى انه كان بطريركاً على الموارنة في تلك الايام يوسف الجرجسي . وكان مقامه في يانوح من جبة المنيطرة في جبل لبنان وانه عندما ارسل غنريد بن ملك اورشليم وفود المبشرين بالنصر المبين الى رومية قد انتهز الفرصة هذا البطريرك وارسل مع هذه الوفود رسولا يحمل رسائل الخضوع والطاعة الى الحبر الاعظم

ويطلب التثبيت . وكان البابا اربان الثاني قد رقد بالرب فاستقبل ذاك الوفد بنوال الثاني خليفته بكل ترحاب وارتياح وارسل هذا البطريرك رسائل الجواب وتاجاً وعكازاً حبرياً على سبيل الهدية . ولكن هذا ليس يثبت . ويقال ايضاً ان هذا البطريرك قد توفي سنة ١١٢٠ وليس من اثر راهن يدل على ذلك »[1] .

اما نحن فنقول لا حق للسعيد الذكر دريان بان يرتاب في صحة حوادث البطريرك يوسف الجرجسي وذلك لان العلامة والمؤرخ الثقة قد شهد هو نفسه في مواضع عديدة من تاليفه ان جواب البابا اوربانوس الثاني ما زال في ايامه محفوظاً في الكرسي البطريركي المبين كما كان محفوظاً ايضاً جواب البابا زخيا الثالث وان هذا العلامة القديس لم يأت برواية ابن القلاعي بخصوص البطريرك الجرجسي الا بما انها كانت مطابقة لتلك البراءة المبرية فبعد من الجسارة تكذيب هذا البطريرك فيما رواه عن مشاهدة عينية للبراءة الجرجسية . اما اذا كان ابن القلاعي لم يذكر هذه البراءة مع سائر البراءات المبرية ، فليس ذلك ببرهان على عدم وجودها بل برهاناً على عدم اطلاع القلاعي عليها لانه لم يرها ولانها لم تكن في رومية بل في قنوبين في محل غير الذي كانت فيه تلك البراءات ولا ريب ان فترة تاريخ كنيسة المليار تدل على البطريرك الجرجسي ومعاطاته مع رومية وليس على غيره . لان حادثة هذه الرواية هي وحيدة من جنسها الى تلك السنة اي ١١٢٧ التي لم يقرها المؤرخ بل قال نحو سنة ١١٢٧ ، كأن هذا الحادث قد حدث قبل تلك السنة وبدونه المؤرخ يضبط لانه لم يكن على معرفة تامة من السنة التي حصل فيها . ومن ثم كانت حادثة البطريرك الجرجسي برمتها مما لا ريب فيها .

ومما يثبت قولنا هذا انما هو التقليد الذي يروي ان بابا رومية قد ارسل الهدية المرسلة للبطريرك يوسف الجرجسي الى يوحنا مارون الذي من دملس الذي كان بطريركاً قبل الجرجسي توًا ، قبل وصول الصليبيين بقليل وفي ايام البابا اونوريوس الثاني لان هذه النعمة المنسوبة الى يوحنا مارون رئيس الطائفة الأول لا يمكن ان تدل الى زمان سابق مجيء الصليبيين وبالتالي الى رئيس الطائفة الذي كان قبل ذاك التاريخ ، والفرق بين زمان

---

١) المطران يوسف دريان ، لباب البراهين الجلية عن حقيقة الطائفة المارونية ، بدون ذكر المطبعة والسنة ، ص ٢٩٦ .

البابا اونوريوس الثاني واوربانوس الثاني وبين البطريركين يوحنا مارون الذي من دمشق الثاني ويوسف الجرجسي يكاد ان يكون لا عبرة له لانهم جميعاً قد وجدوا تقريباً في زمان واحد اي بين سنة ١٠٨٠ و ١١٣٠ . ولذا كان من السهل في التقليد عدم معرفة الحادثة بضبط وخلط الحوادث نظراً لتقرب وقوعها وتوارد اسماء اصحابها (اونوريوس واوربانوس ويوحنا ويوسف) وليس من المستحيل بل انه معقول جداً ان البطريرك يوحنا مارون الثالث الذي من دمشق قد خابر رومية وكتب اليها مع من كتب من البطاركة والمسيحيين الشرقيين يطلب مساعدتها ويعترف بايمانها ويعلم انه هو وطائفته منذ القديم خاضعين لها ومعتقدين اعتقادها .

ولما جاء الجرجسي وارسل قصاده الى رومية اجابه البابا على رسالة سلفه يوحنا مارون وعلى رسالته سوية فاعتبر ونسب التقليد هذا الجواب وتلك الهدية انها ليوحنا مارون لانه كان المباشر بطلبها كما ان الجرجسي كان المتمم لها .

اما يوحنا مارون هذا البطريرك الثاني في السلسلة اللبنانية فما هو الا الاخير من السلسلة الثانية الخماسية التي نسخها داود بن ابراهيم في سنة ١٣١٣ وليس غيره .

اما تقليد الموارنة الذي يروي قصة بطريركهم يوحنا مارون والتقاءه مع قاصد البابا في انطاكية وفي طرابلس في ايام البابا اونوريوس وان هذا البطريرك ذهب مع القاصد الى رومية حيث ثبته البابا اونوريوس بطريركاً والبسه التاج والخاتم وسلمه عصى الرعاية فذلك كله لا ينطبق تاريخياً على زمان القرن السابع والثامن بوجه من الوجوه بل ان الآثار التي وجدت مؤخراً وقد محصناها تدل فانها تدل بظروفها وخاصة دلالةً واضحة من اسم البابا اونوريوس انها قد تمت فعلاً في زمان هذا البابا اي بين سنة ١١٢٤ و١١٣٠ وقد اثبت وعى هذا التقليد مخطوط كنيسة الملبار وهذا الامر معقول جداً بل ثابت من ان الموارنة قد التصقوا بالافرنج فور وصول هؤلاء الى لبنان لانهم منذ القديم كانوا يعتبرون ذواتهم اخواناً للافرنج في الاعتقاد ولم يكن يمنعهم عن المعاطاة معهم الا ظلم الحكام وهذا جرى قريباً من ايام البطريرك يوحنا مارون الثالث الذي كان نحو سنة حلول الافرنج في لبنان .

اما خلفاء الجرجسي منذ سنة ١١٢٠ فقد دلت عليهم الاثار الراهنة كما ستروا وهم : البطريرك بطرس من سنة ١١٢٠ والبطريرك غريغوريوس

الحالاتي سنة ١١٣٠ والبطريرك يعقوب من رمات والبطريرك بطرس في سنة ١١٥٤ والبطريرك يوحنا اللحفدي والبطريرك بطرس في سنة ١١٧٩ ثم بعد هؤلاء البطريرك اريا العمشيتي سنة ١١٨٣ والبطريرك دانيال من شامات سنة ١٢٣٠ والبطريرك شمعون سنة ١٢٤٥ والبطريرك يعقوب سنة ١٢٧٧ والبطريرك دانيال من حوشب سنة ١٢٨٠ الخ.

لقد سردنا هنا امام القارئ عدد هؤلاء البطاركة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تبياناً الى ان بطاركة السلسلة السريانية التي نحن بصددها ليس فيها من خدم البطريركية المارونية الانطاكية في هذين القرنين وذلك واضح من ان البطاركة المذكورين في هذه السلسلة هم غير الذين ذكرناهم هنا من انهم خدموها في القرنين المذكورين ولذا قلنا قبلاً مع الدويهي وبناء على البراهين التي اوردناها ان اولئك البطاركة هم من سنة ٧٣٠ — (الى) سنة ٩٤٩. وهم من دير مار مارون قبل خرابه وممن سكنوا انطاكية ثم بعدهم سلسلة البطاركة الذين اقاموا في يانوح في لبنان من سنة ٩٤٩ الى سنة ١٠٩٠ اي الى مجيء الصليبيين كما رأيت.

ومن ثم لا يمكن ان يكون احد من السلسلة السريانية كان بعد مجيء الافرنج كما توهم الدويهي. وذلك لانه لا يقبل ان تذكر هذه السلسلة بطاركة القرون الاولى اي من سنة ٧٣٠ الى ٩٤٩ وتنتقل منها الى الذين خدموا البطريركية من سنة ١١٨٣ الى ١٢٧٧ تاركة جميع البطاركة من سنة ٩٤٩ الى سنة ١١٨٣ وهم الذين نقلوا واولم يوحنا من انطاكية الى لبنان وكان آخرهم يوحنا مارون الثالث من حوالى سنة ١٠٨٠ ثم بطاركة القرن الثاني عشر من سنة ١٠٩٠ الى سنة ١١٨٣ الذين عددناهم هنا. فضلاً عن ان البطاركة الاربعة من السلسلة السريانية الذين ادعى الدويهي انهم كانوا في لبنان بعد مجيء الافرنج لا تنطبق اسماؤهم على اسماء بطاركة القرن الثالث عشر الذين لا ريب بوجودهم وزمان تنصيبهم. ولا يعارض قولنا قول الدويهي الا براءات الباباوات واخبارهم كانت مصونة عنده. لان اصحاب البراءات والاخبار هم اريا وشمعون ... الخ. الا ان هؤلاء يسموا اولئك المذكورين في السلسلة بل غيرهم وهذا مما لا ريب فيه كما برهنا.

وسوف يرى القارئ قريباً كتاباً خاصاً منا في سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين مطولة ومتصلة باسنادها حيث زيادة شرح وايضاح لهذه المسألة وعلى الله الاتكال.

ونرى في هذه السلسلة ان لا ذكر فيها ليوحنا مارون الاول الذي يروي تقليد الموارنة انه قام بطريركاً بعد توما نحو سنة ٦٨٦ وذلك دليل انه لم يكن بعد اجمع السادس بل من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع كما برهنا. وانه كان بطريركاً على جميع الخلقيدونيين وليس على الموارنة لوحدهم.

لم يرد ذكر ولا في هذه سلسلة غير السادس فيها ومن ثم كان زمانه قبل في اواخر القرن التاسع. في حوالي خراب دير مار مارون. ولم يكن هو المذكور في السلسلة الثانية لان البطاركة المذكورين بعدد هم غير المذكورين في السلسلة الاخرى.

اما ما حدا بنا الى تقدير قضيتنا هذه، فما هو قول المؤرخ التلمحري الذي عيّن مدة سلسلة بطاركة الموارنة من قبل سنة ٧٤٠ وانقطاعها الى سنة ٨٣٣ لان هذا المؤرخ ختم حادثة دير مار مارون هذا بقوله: «وقد بقي الموارنة كما هم (كما كانوا من قبل) حتى اليوم. من انهم يسمّون لانفسهم بطريركاً وأساقفة من ديرهم»[1].

ففي هذا الكلام يقابل المؤرخ من عمل ثاوفيلوطا اي تسميته بطريركاً من الملك العربي مروان. ويتبين بذلك ان ثاوفيلوطا الذي اتهم بامر من مروان يعلن بطريركه ويأمر بالخضوع له لم يستفد شيئاً ولم يجده ذلك نفعاً اذ ان الموارنة رفضوه وانكروا عليه البطريركية والسلطة عليهم وقد بقوا كما كانوا قبل ذلك على انتخابهم بطريركهم وما زالوا خاضعين له في هذه الحادثة وما بعدها. ولم يقبلوا غيره وما انفكوا على مبدإهم هذا حتى الى ايام المؤرخ اي سنة ٨٤٣ التي فيها كان ديرهم قائماً بعد.

اما هذا النص فانه ينفي بتاتاً ابتداء الموارنة بانتخاب بطريرك لهم منذ ايام ثاوفيلوطا فقط بدليل وضعه «بقوا» اي ما زالوا كما كانوا من قبل ولا يمكن تفسير هذا الفصل هنا الا بما نقوله لانه لو كان المؤرخ وهو الخبير بوضع الكلام بمعانيه يريد بقوله ان الموارنة قد انتخبوا بطريركهم بعد انتخاب ثاوفيلوطا لكان وضع فصلاً آخر يدل على ذلك كأن يكون: «اخذوا» او «شرعوا» ويقول ومن ذاك الحين.

اما المطران يوسف داود[2] فانه قد فهم ذلك المعنى وزوّره لينكر

---

١) Michel le Syrien, *op. cit.*, t. IV, p. 467.

٢) المطران اثناسيس يوسف داود، كتاب جامع الحجج الراجحة في ابطال دعاوى الموارنة، [القاهرة ١٩٠٨].

بطريركية الموارنة حيث قال في ذيله هكذا : ٤ « ان اساقفة الموارنة الى زمان ديونيسيوس اي الى سنة ٨٣٣ كانوا ينتخبون من دير مار مارون » . وقد رأيت في النص الاصلي ذكر (بطريركهم) مع الاساقفة . اما داود فانه حذف لفظة « بطريركهم » ثم قال مزوراً ايضا :

« عدد ٦ . ان الموارنة شرعوا (وقد رأيت النص يقول يقوا) يقيمون لهم بطريركاً على حدة نحو ٧٤٥ » . وما ابدال المطران داود فعل « يقوا » بفعل « شرعوا » الا لانه تأكد ان الاول يدل على انتخابهم بطريركاً قبل تاوفيلكتوس . ولا حاجة لنقول ان النص الاصلي صريح ويكذبه . لان البقاء يدل على مواصلة ما كان قد يجري من قبل . اما الشروع فلا يدل الاّ على الابتداء . ولا علاقة له الا مع ما بعده . وما زال المؤرخ يصرّح ان الموارنة قد بقوا اي كملوا وتمسوا ما كانوا يفعلونه من قبل . فما بالكم يا داود تنكر ذلك ضد الحق الواضح وتعاند بتعصبك الزميم الحقيقة الراهنة . فكان الاولى بك ان تسمي كتابك جامع البراهين الواهنة وليس الراهنة لما فيه من التزوير والتشويش المخجل لك .

ومن ثم كان بطريرك الموارنة الذي كانوا ينتخبونه قبل بطاركة المكسيميين بعد الانفصال هو البطريرك الانطاكي الشرعي بالنسبة الى الموارنة . وان تاوفيلوطا لم يكن صاحب السلطة الشرعية عليه بل على متبعيه المكسيميين لا غير . ولم يكن له حق بوجه من الوجوه بالتعرض بالموارنة . اما اذا كان مؤرخو اليونان قد ذكروه من انه الانطاكي فما ذلك الا انه كان موالياً لليونان . ومعتبراً انه بطريركهم بدليل ان المؤرخ النسطوري يسمي خلفه تيادوريطوس الذي كان محبوساً في بغداد بطريرك اليونان كما اثبتنا في هذا الكتاب . وكما انه لم يذكره احد من مؤرخي سوريا لا هو ولا غيره من البطاركة اليونانيين الانطاكيين . هكذا لم يذكر احدهم بطاركة الموارنة . وقد فقدت جميع الاثار بهذا الخصوص .

اما نص المؤرخ فله صداه العظيم في تقليد الموارنة الذي يقول انهم اخذوا ينتخبون بطريركاً لهم قبل القرن الثامن . اي قبل زمان تاوفيلوطا بمدة لا تقل عن الخمسين سنة . نعم انهم كانوا طائفة واحدة هم وسائر الخلقيدونيين ولم يقع الانفصال بين الطائفتين الا منذ سنة ٧٣٠ . ومن ثم قد تسمى بطاركتهم بطاركة الموارنة . ولما تضايق المكسيميون من الموارنة ورأوا ذواتهم معزولين وبدون بطريرك اذاء الموارنة قد التجأوا الى الملك هشام فسمّى لهم القس اسطفان . ولم يعطهم الحرية في انتخابه . ثم التجأوا بعد موت هذا

بخمس سنوات الى الملك مروان فسمّى ثم تاوفيلوطا ولم يدعهم ينتخبونه هم على هواهم لان هذين البطريركين كانا صديقين للملكيين .

فمن ثم كانت سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكية المستقلة قد ابتدأت منذ سنة ٧٣٠ قبل سلسلة المكسيميين وهي الشرعية في نظر القانون والتاريخ .

اما سلسلة بطاركة المكسيميين فقد ابتدات بسنة ٧٤١ بعد انفصالهم. ومن ثم كانت الدخيلة على سلسلة الموارنة السابقة لها . وكان المكسيميون هم الذين انفصلوا عن البطريركية الانطاكية المارونية وليس الموارنة هم الذين قد انفصلوا عنه . الا ان المكسيميين كانوا اكثر عدداً ، وحزبهم في الشرق اقوى بسبب موالاتهم وخضوعهم لكنيسة القسطنطينية وملوكيا ومناصرة هؤلاء لهم .

اما الموارنة فتعلقوا منذ القديم : اي من عهد هرقل . بالكرسي الروماني وبقيوا من ذلك الحين معترفين معه بالايمان القويم كما تدل اثارهم وبما انهم من ذلك الحين عادوا القسطنطينية وتباعها من الروم وقلبوا لهم ظهر المجن . وكانوا تحت حكم الاسلام بعيدين عن روية ولم يكن لهم من واسطة للوصول اليها قد بقوا من ذلك الحين منفردين في سوريا وخاصة في لبنان ومستقلين في كنيستهم الانطاكية في ايام الصليبيين .

وقد صرّح تقليد الموارنة واثارهم الخطية انهم منذ القديم كانوا موالين للافرنج اعني لكنيسة روية وان اعتقادهم على اعتقادها وان بطريركهم الاول الانطاكي الخاص بهم قد اثبته بابا روية . وهذا كان لثبوت معتقدهم الكاثوليكي وحقهم الشرعي على الكرسي الانطاكي .

اما اذا كان تقليدهم قد وقع فيه بعض اغلاط تاريخية فلا تأثير له على جوهر المسألة التي نحن بصددها ، اي حقهم الاولى على الكرسي الانطاكي الذي يصرح التلمحري هنا ان سلسلتهم ما بقت من قبل انتخاب تاوفيلوطا الى ايامه سنة ٨٤٣ مستمرة ثابتة عليه . ومعلوم ان الكرسي الرسولي لا يولي حقاً شرعياً على الكراسي البطريركية الا من كانت سلسلته متواصلة وايمانه كاثوليكي بدون انقطاع .

اما الموارنة فترى ان سلسلة بطاركتهم مكملة لسلسلة البطاركة الكاثوليكيين الانطاكيين الذين كانوا على هذا الكرسي من قبل هرقل وبعده ولم يكونوا قد سقطوا في هرطقة لانهم كانوا كنيسة واحدة انطاكية مع الشعب الانطاكي وهي قسم منه .

اما منذ انفصالهم فقد اتخذوا كنيسة خاصة لرجدهم ما هي الآ قسم من الكنيسة الانطاكية لما حتمها بالكرسي الانطاكي اكثر من سواهم. اما ايمانهم فانه كان دائماً الكاثوليكي منذ نشأتهم الى الآن وما كتابنا هذا الا لاثبات هذه الحقيقة. وقد رأيت من الآثار والحجج الراهنة التي اوردناها انهم لم يتلطخوا ببرطقة ابداً. واذا كان بعض المؤرخين اخصامهم قد اتهموهم ببرطقة خاصة المونوثلية. فنحن قد اثبتنا انهم لم يعرفوها قط ولم يتلطخوا بها ابداً. وان قولهم بالمشيئة الواحدة انما هي الادبية لا المونوثلية. وما هي في عرفهم وحد ذاتها الا اتفاق المشيئتين الطبيعيتين اللتين كانوا يعترفون بهما بدون ادنى ريب. ومن ثم كان حقهم على الكرسي الانطاكي اولى من سواهم لان جميع الطوائف الشرقية التي انتقت عن هذا الكرسي قد سقطت في هرطقات شتى وسقوطها هذا ثابت ثبوت جبال لبنان ولم يبق [من] الطوائف الانطاكية من قد استمرت كاثوليكية على ايمان الكنيسة الرومانية الا الطائفة المارونية.

فمن جميع ما تقدم قد اتضح لك ايها القارئ ان الشعب الخلقيدوني الانطاكي الذي له الحق على الكرسي الانطاكي قد انقسم هو واساقفته الكاثوليكيون منذ سنة ٧٣٠ الى فئتين وكنيستين كاثوليكيتين بسبب ايضاح وتفسير تعليم المجمع الخلقيدوني فيما يتعلق بالمشيئة والمشيئتين هما الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية: والكنيسة الانطاكية السريانية الملكية الملقبة باليونانية حتى اصبحت كل طائفة منهما مستقلة عن الاخرى ببطركها واساقفتها وادارتها. وبما ان الموارنة كانوا قد سبقوا وانتخبوا لذواتهم بطريركاً انطاكياً عليهم قد رسمه الاساقفة الانطاكيون ولم يقبله الملكيون كما كانوا من قبل يقبلون بطاركة دير مار مارون بل انهم رفضوه لانه لم يقبل برأي المشيئتين اعتقاداً منه انهما المتضادتان بل رفضها وعلم بالمشيئة الواحدة الادبية اعني باتفاق المشيئتين. ولم يكن لهم من سبيل الى انتخاب بطريرك غيره اذاه بموجب القوانين الكنائسية التي تحذر وجود بطريركين في وقت واحد على كرسي واحد. قد التجأوا الى الحاكم الزمني الملك هشام فعين لهم توافيلتوس دون غيره، وسماه بطريركاً عليهم لانه كان صائغه وصديقه وقد اثبته بامر خطي سلمه اليه ملزماً الطاعة والخضوع لسلطته فتسلح بهذا الامر وبمكر ليخضع الموارنة لسلطته فلم ينجح لانهم ردوه خائباً. ولم يرضخوا امر الملك واضطهاده وعذاباته عسكره، وقد ساعدهم الرب عليه باعجوبة الهية. ومن ثم قد بقوا متمسكين كما كانوا من قبل

ببطريركهم مدعين بحق ان انتخاب البطاركة هو لديرهم ولاساقفتهم منذ القديم وليس للسلطة الزمنية . وهكذا قد انشق الكرسي الانطاكي الى ماروني ومكسيمي . الاثنان خلقيدونيان ملكيان لا يمكن لاحد منهما انكار حق الآخر على هذا الكرسي .

اما السبب الاولي والجوهري للانفصال بين هذين الفريقين فقد اوضحه المؤرخ هـ اذ قال عن الموارنة : « وهم يميزون عن ملكيوس باعترافهم بمشيئة واحدة في المسيح وقولهم بأنه من صلبت لاجلنا لكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني ... وقد ردد المؤرخون في ذكرهم الموارنة نسبة هذه المشيئة الواحدة هم كأنها خاصة بهم الا انه لم ينسبها ويثبتها احد منهم الى المونوثلية صريحاً الا سعيد ابن بطريق المتوفى سنة ٩٤٠ الذي ادعى ان هذه المشيئة قد علّم بها مارون منذ ايام الملك موريق اي نحو سنة ٦٠٠ وان جميع الاراطقة المونوثليين من ذلك الحين حتى اونوريوس بابا روميه كانوا موارنة[1] . لكن المؤرخ التلمحري يفضح هنا في نصه السابق كذب ابن بطريق بتقريره ان دير مار مارون ورهبانه ما زالوا كاثوليكيين وعلى ايمان الكنيسة الكاثوليكية الخلقيدونية في سوريا مثل باقي الخلقيدونيين وفي كنيسة واحدة معهم سنة ٧٢٧ وهذا مما لا ريب فيه . فقد خلط اذا ابن بطريق لما رواه عن مارون ومن نسخ عنه قد لفقوا اخذاً عنه فيما رووه عن مارون ورهبانه وطائفته . اما الرد على هؤلاء الملفقين فقد كفانا التلمحري مؤنة الرد عليه لانه القمهم الحجر وافحمهم افحاماً .

اما نحن فلدى بحثنا عن حقيقة الموارنة منذ القديم الذي استقوه من دير مار مارون فاننا قد وجدنا ان تلك المشيئة الواحدة التي قال بها الموارنة وقد خصت بهم ليست الاراطقية ولا يمكن ان تكون المونوثلية بل هي الكاثوليكية وهي الادبية وليس الطبيعية وهي اتفاق المشيئتين الطبيعيتين اللتين علّم بهما المجمع السادس وقرّر اتفاقيها وحرم تضادهما وتناقضهما . وقد اوضح هذه المشيئة الواحدة الادبية القديس العلامة يوحنا الدمشقي المعاصر لجدال الخلقيدونيين وانفصالهم كما رأيت . ولزيادة تبيان هذه الحقيقة التي هي قضيتنا وغايتنا في هذا الكتاب نقول .

(١ Michel le Syrien, *op. cit.*, t. IV, p. 467.

(٢ Eutychii Patriarchae Alexandrini, *Annales*, éd. L. Cheikho, *CSCO*, scriptores arabici, t. 6, Louvain 1954, p. 210.

اولاً . ان اسم مونوثلي لا ينطبق لا لفظاً ولا معنًى على المؤازنة . وذلك لانه مركب من لفظتين يونانيتين الاولى مونوس ومعناها واحد والثانية تليس ومعناها مشيئة طبيعية . وهي القوة التي بها انشأ الطبيعة وقد حدّد القديس يوحنا الدمشقي في كتاب الايمان الثاني صفحة ٤٧٦ هكذا :

فمن ثم قد حدد جميعهم هذه المشيئة الطبيعية (تلسيس) هكذا : هي الميل العاقل والحي الناطق بكل ما له طبيعة . ومن ثم ان تلسيس ما هي الا ذاك الميل الطبيعي ذاته الحي والناطق لجميع الذين يتألف فيهم طبيعة . وهي القوة البسيطة اي المجردة عبر نفسها .

Unde voluntatem hanc naturalem °Θέλησις° sic definiunt: voluntas est rationalis et vitalis appetitus, ex iis duntaxat quae naturalia sunt, pendens. Quocirca Θέλησις quidem nihil aliud est, quam ipsemet naturalis, vitalis, ac rationalis appetitus eorum omnium quibus natura constituitur, et simplex facultas[1] .

ثم انه قد ميّز بين هذه اللفظة وغيرها مما يدل على المشيئة ايضاً حيث قال في الصفحة ٤٧٩ :

وبالحقيقة ان تلسيس انما هي قوة المشيئة البسيطة والمجردة ذاتها . اما بولنسيس فهي المشيئة المتعلقة بشيء ما . اما ثلتون فهي موضوع او مفعول المشيئة اي الشيء الذي نشاءه (...) اما الثليتون او الثليتيكون فهو ما كان مخولا القوة المشيئة مثلاً الانسان . واخيراً ثلون اعني الشائي انما هو الذي يستعمل المشيئة (الاقنوم).

Siquidem Θέλησις, est ipsa simplex volendi facultas; Βούλησις, est defixa alicui rei voluntas; Θελητόν, est voluntatis subjectum, sen illud quod quod volumus °...°, Τὸ θελητόν. Θελητικόν vero illud quod facultati volendi praeditum est, ut homo: Θέλων denique, sen volens, is qui voluntate utitur[2] .

وقد حدد ايضاً هذه الالفاظ بمعانيه هذه في الصفحة ٥١٠—٥١١ .

ثم انه قد اوضح عن معاني المشيئة هذه في مقالته في المشيئتين صفحة ٨٤٦ وما يلي :

فبموجب هذا التعليم والتحديد الموضح من القديس يوحنا الدمشقي ذاته لا يكون مونوثليا الا من لم يعترف في المسيح الا بمشيئة واحدة طبيعية

---

١) P.G., t. 47, col. 476-477.

٢) P.G., t. 47, col. 479.

اي قوة المشيئة في الطبيعة ومن ثم ينكر وجود احدى قوتي المشيئتين الطبيعيتين في المسيح اي قوة المشيئة الالهية وقوة المشيئة البشرية . وبما ان الخراطقة المونوثليين قد انكروا وجود قوة المشيئة البشرية في المسيح وقالوا ان ليس فيه وله الا قوة مشيئة واحدة وهي المشيئة الالهية فقد لقبوا باسم جديد طبعاً خراطقتهم هذه . مشتقاً من معنى اعتقادهم الخاص وهو اسم مونوثلي الذي لا يدل الا على من لا يعتقد الا بالمشيئة الواحدة الطبيعية التي هي قوة المشيئة مجرّدة .

ولذلك انهم كانوا يجرّدون الطبيعة البشرية في المسيح من المشيئة البشرية التابعة لها ولا يقرون الا بالمشيئة الالهية التابعة لطبيعته الالهية مدعين انها قامت مقام المشيئة البشرية . ومما ادعوا به لاثبات هرطقتهم وانكارهم المشيئة البشرية في طبيعة المسيح البشرية انما هو مبدأ المانوية الذي ينكر وجود مشيئة طبيعية في الانسان لزعمهم انه لا يوجد الا مشيئتان الواحدة صالحة وهي الالهية والثانية رديئة وهي شيطانية كما رأيت في نص القس انسطاسيوس السيناوي وغيره هنا .

وهذا ما حدى باباء المجمع السادس وبعض المؤرخين كما اثبتنا في مقالة خاصة من ان ينسبوا هرطقة المونوثلية الى المانوية حيث قال آباء المجمع عن قسطنطين فليكن محروماً المانوي . هذه هي هرطقة ماني . فليطرد خارجاً المانوي . وقد صرّح بذلك الدمشقي في الصفحة ٨٤٥ بقوله : «لكنهم (المونوثليون) يقولون ان ليس للانسان مشيئة طبيعية فانهم يقولون ذلك مثل المانويين الذين يقولون ان ليس الا مشيئتان الواحدة الحية وهي الصالحة والاخرى شيطانية وهي الرديئة .

ومن ثم لا يمكن ان يعد ويحسب هرطوقياً واراتيكياً وبالتالي مونوثلياً الا من انكر قوة المشيئة البشرية في الطبيعة البشرية ومن قال انه لا يوجد فيه الا قوة واحدة فيه للمشيئة خاصة بطبيعته الالهية فقط وهي المشيئة الالهية الطبيعية . اما من قال بمشيئة واحدة بغير هذا المعنى فلا يعد مونوثلياً واريتيكياً قطعياً ولا يمكن تلقيبه باسم مونوثلي الذي لم يوضع في الاصل الا لمن دل عليه معناه الحصري اي من لم يقر ويعترف في المسيح الا بقوة واحدة طبيعية للمشيئة فيه . اما من قال بمشيئة واحدة ادبية رداً على تجنيات الخراطقة السوارنة والنساطرة الذين ادعوا ان القول بالمشيئتين انما هما المتضادتان او رداً على من ظن وتوهم عن غير فهم انهما متضادتان

وللدلالة على اتفاقهما هو الدليل على وجودهما لان الاتفاق لا يكون الا بين آخر وآخر اي بين المشيئة الاولى الالهية والمشيئة الثانية البشرية وينفي وجود اقنومين في المسيح الذي لا تسلطرة من المشيئتين المتضادتين .

ومن جميع ذلك يتضح ان المونوثلي انما هو الذي يعرّي ويجرّد الطبيعة البشرية في المسيح خاصتها الطبيعة التي هي قوة المشيئة التي بها تشاء وينكر وجود هذه المشيئة بتاتاً ولا يقر بها ابداً . ولذا قد بنى جميع آباء الكنيسة خاصة التقديس صفرونيوس والقديس يوحنا الدمشقي السوريان حقيقة وجود المشيئة الطبيعية البشرية في السيد المسيح له المجد على كمال طبيعته البشرية وعدم نقصها بشيء عن طبيعة الانسان الاول الذي خلقه الله على صورته ومثاله كاملاً وحراً . وقد انكروا تعليم المشيئة الواحدة الطبيعية اي قوة المشيئة في الطبيعة لطبيعتي المسيح لأنه يلاشي ويهدم الطبيعة البشرية فيه ويؤدي الى الابوليناريّة والبعقوبية اي الى هرطقة الطبيعة الواحدة في المسيح الا في المسيح .

نعم ان المونوثليين كانوا يقرون بالطبيعتين في المسيح الا انهم ينكرون بتاتاً المشيئة البشرية الخاصة بالطبيعة البشرية . وبهذا المعنى ايضاً قد فهم الهراطقة ذوو الطبيعة الواحدة تعليم المونوثلية اذ كانوا يعيّرون الخلقيدونيين الذين في ايام هرقل اعتقدوا بهذا التعليم اننا نحن لم نوافق المجمع الخلقيدوني . اي اننا لم نقل مثله طبيعتين في المسيح بل انه هو الذي قد وافقنا وقال معنا بطبيعة واحدة في المسيح لقوله مشيئة واحدة ، فيه يعنون بذلك ان تعليم المشيئة الواحدة يلاشي طبيعة المسيح البشرية حتى يرجع الامر الى القول بالطبيعة الواحدة فيه هي الالهية فقط . وما هو اعظم من ذلك انما هو ان تعليم المونوثلية انما صدر في اصله عن البعاقبة ومبدأهم اذ ان بطريركهم اثناسيوس اخترعه وعرضه على الملك هرقل قصداً لعلمه انه يهدم طبيعة المسيح البشرية ويثبت هرطقة الطبيعة الواحدة .

وبناء على ذلك قد وضع الآباء والمجامع المقدسة للهراطقة الذين انكروا قوة المشيئة البشرية في طبيعة المسيح البشرية وقالوا بقوة المشيئة الالهية لطبيعته الالهية فقط- اسم المونوثلية الدال على هذا التعليم كما كانوا قبلاً وضعوا اسم مونوفيسي الذي معناه طبيعة واحدة لمن انكر الطبيعة البشرية في المسيح ولم يعترف فيه الا بطبيعة واحدة وهي الالهية . والاسمان يدلان الاول على من لم يعترف في المسيح الا بمشيئة واحدة طبيعية في المسيح هي الالهية ،

والثاني على من لم يعترف فيه الا بطبيعة واحدة هي الالهية وكما ان الاول ينكر بتاتاً المشيئة البشرية هكذا الثاني ينكر بتاتاً الطبيعة البشرية في المسيح. والاثنان يلتقيان ويتفقان في القول بطبيعة واحدة فقط.

اما الموارنة فلا ينطبق تحديد المونوثلية هذا عليهم وذلك لانهم في جميع اثارهم والاثار التي تذكرهم التي اوردناها الى الآن يتخذون المشيئة بمعنى الثاني الذي اوضحه الدمشقي وهو تليمون θέλημα اي الموضوع والشيء الذي تشاءه وهو مفعول المشيئة. وذلك انهم دون ان ينكروا قوة المشيئة التي لم يكن من خلاف عليها بين الخلقيدونيين من فسّروا واوضحوا هذا التعليم عملياً لا نظرياً فقط كما دخل عليهم وكما كان افراطنة خاصة السريانة والنسطرة يدعون ويتجرون بسبب تعليم المشيئتين من انهما المتضادتان المؤديتان الى الاقرار باقنومين وابنين ومسيحين.

اما تعليمهم هذا بالمشيئة الواحدة الادبية، اي ان موضوع ومفعول المشيئتين انما هو واحد فلا يمكن ان يكون بحد ذاته مونوثلياً وارتيكياً بل انه كاثوليكي صرف بدليل ما اوضحه القديس يوحنا الدمشقي في مواضع شتى من تآليفه وقد ذكرنا بعضها هنا من ان موضوع ومفعول المشيئتين في المسيح انما هو واحد فقط لان مرجعه الشخص والاقنوم وهو خاص بالاقنوم وليس بالطبيعة. وذلك لان المشيئة البشرية في موضعها ومفعولها اي عملياً تخضع للمشيئة الالهية وتطيعها دائماً حتى تصيران هاتان المشيئتان واحدة فقط. وما هذا الايضاح من العلامة الدمشقي الا ليبرهن عن عدم تضاد المشيئتين وعدم صحة زعم الهراطقة وتجنياتهم بحق المعترفين بالمشيئتين انهم يعترفون بالاقنومين بحسب اصطلاح الفلسفي من ان الافعال تنسب للاقانيم الذي لم يكن بامكان الخلقيدونيين ان ينكروه او يحيدوا عنه. ولذا كان من الواجب والضروري ان يبرهن ويوضح الخلقيدونيون هذا التعليم ليس بالنظر الى المشيئة بالقوة التي هي قوّة المشيئة مجرّدة وعلى وجه الاطلاق لان ذلك لا يجديهم نفعاً فلسفياً بل بالنظر الى المشيئة بالفعل اي في مفعولها وبالنسبة الى الاقنوم ليس فيه تضاد او انقسام والمفعول ليس فيه تمييز في ذاته.

اما هذا الايضاح والتعليم الدمشقي ليس فقط انه كاثوليكي محض بل انه التعليم المخالف له في معناه انما هو اراتيكي لانه يقرر مشيئتين اقنوميتين لاعترافه بمشيئتين متضادتين منسوبة كل منهما الى اقنوم خاص لوحده. وهذا ما يوقع في النسطورية.

فبهذا التعليم الدمشقي بعينه وهو اتخاذ المشيئة بانها موضوع ومفعول المشيئة اي الشيء الذي تشاءه واحدة وليس اثنتين قد علم واعتقد الموارنة القدماء وليس بالمشيئة الواحدة بالمعنى الآخر الموضح من الدمشقي للدلالة على قوة المشيئة بحد ذاته مجرّدة وهي المشيئة الطبيعية الخاصة بالطبيعة مبدئياً.

واذا كان لا بد من تسمية الموارنة باليونانية باسم يدل على تعليمهم هذا المخالف تعليم المونوثلية على خط الاستقامة كان من اللازم اللاذب ان يشتق هذا الاسم من مونوس ومن ثيليتن ويقال مونوثليتية الذي يعني صاحب مشيئة واحدة ادبية. لان المشيئة الواحدة الادبية التي هي موضوع ومفعول المشيئة بحسب تعليم وايضاح الدمشقي يجب ان يشتق هذا الاسم وليس من اسم مونوثلية. اما المشيئة التي هي قوة المشيئة الطبيعية بحد نفسها انما هي التي قد اشتق منها اسم المونوثلي في جميع اللغات.

ومن ثم لا يمكن تسمية الموارنة في اليونانية مونوثليين للدلالة على تعليمهم الخاص لانه مخالف لتعليم المونوثلية مخالفة كلية. ولذا اننا لم نر احداً من المؤرخين قد سماهم ولقبهم بهذا الاسم. اما تسميتهم باللغات الغير اليونانية بانهم اصحاب المشيئة الواحدة بمعنى واحد فلا يدل على انهم اصحاب المشيئة الواحدة المونوثلية الاراتيكية، بل على المشيئة الواحدة الادبية اي اتفاق المشيئتين. ويستدل ذلك المعنى ليس من تعليمهم الخاص الذي اوردنا اثاره الخطية الى الآن والذي يصرّح باعترافهم بمشيئتين طبيعيتين الواحدة الهية والاخرى بشرية وباتفاق هاتين المشيئتين حتى صارتا مشيئة واحدة في مفعولها وفي الاقنوم، اللذين هما واحد فلسفياً بل من نصوص المؤرخين ذاتها التي تصرّح دائماً عنهم بانهم يعتقدون «باقنوم واحد ومشيئة واحدة»، وبهذا التعبير دليل على ان المشيئة الواحدة التي يعترفون بها ليست تلك الطبيعة التي هي قوة المشيئة بل الموضوعية والمفعولية والمنسوبة الى الاقنوم وهي واحدة فقط كما رأيت.

ولا يمكن القول ان نصوص المؤرخين السريان والعرب التي تسمّي الموارنة اصحاب المشيئة الواحدة انهما بمعنى المونوثلية او ترجمتها، وذلك لان المؤرخين اليونان قد ذكروا الموارنة ولم يلقبوهم باسم مونوثلي قط. ولم يصرّح احد من جميع المؤرخين القدماء شرقاً وغرباً بان الموارنة قالوا بالمونوثلية وانتموا اليها بل انهم يصرّحون انهم قالوا بمشيئة واحدة كأن هذه المشيئة الواحدة

ليست المونوثلية . لانه لو كانت هي المونوثلية لكانوا قالوا عنهم انهم مونوثليت بالاسم الدال عليها دلالة واضحة كافية والخاص بهما من وضعه . وهاك بعض الآثار التي تثبت ذلك وتوضح صحة قضيتنا .

قال النص المنسوب الى تيموثاوس القسطنطيني[1] الذي يصرّح ان الموارنة يرفضون المجمع الرابع والخامس والسادس ويزيد على قوله هكذا : « ويقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح » . فيستدل منه ان المشيئة الواحدة والفعل الواحد اللذين قال بهما الموارنة انما هي غير المشيئة الواحدة والفعل الواحد اللذين حرمهما المجمع السادس واللذين ضمنهما بقوله عن رفضهم المجمع السادس كانه يقول ان قولهم بالمشيئة الواحدة انما هو غير رفضهم المجمع السادس .

ثم قال ساويروس اسقف الاشمونيين[2] في كتاب مختصر المجامع عن مجمع السادس : « في السنة الرابعة لمعاوية ... وفيها كورس وبطرس و..... وكل من قال بمقالة اليعاقبة والموارنة ولعنوا اصحاب المشيئة الواحدة » . فمنه يتضح ان اصحاب المشيئة الواحدة الملعونين في المجمع السادس انما هم غير الموارنة . وان الموارنة غير هؤلاء (وان يكن هذا النص ملفقاً) .

ثم ان المسعودي[3] قال عن مارون : « فما يذهب اليه من ان المسيح جوهران اقنوم واحد ومشيئة واحدة . فبهذا التصريح قد دل المؤرخ ان مارون قال بالمشيئة الواحدة بالنسبة الى الاقنوم الواحد وليس بالنسبة الى الجوهرين . وهذه هي المشيئة الواحدة الادبية اي اتفاق المشيئتين في اقنوم المسيح الواحد .

ولربما انه اخذ ذلك عن كتاب قيس الماروني الذي يذكره حتى اصلح ما لفقه سعيد بن بطريق بقوله عن مارون : « يقول ان سيدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعل واحد واقنوم واحد » . كانه ينسب المشيئة الواحدة والفعل الواحد الى الطبيعتين . فخطأه المسعودي بذلك ونسب المشيئة والفعل الى الاقنوم كما رأى في كتب الموارنة وهو القول الصحيح

---

١) Bedawm Raphaël, *Les lettres du Patriarche Nestorien Timothée I*, Studie e Testi 187, Città del Vaticano 1956.

٢) المطران داود ، ص ٢٢٢ .

٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، طبعة دي غوج ، ليدن ١٨٩٤ ، ص ١٠٤ .

فيهم . وهذه هي المشيئة الواحدة الادبية وليس الطبيعية المونوثلية التي هي قوّة المشيئة .

ثم ان الجدال الذي جرى بين الموارنة والملكيين يدل ايضاً على ان المشيئة الواحدة التي علّم بها رهبان مار مارون لم تكن المونوثلية بدليل ان الملكيين لم يسمّوا الموارنة بهذا الاسم المونوثلي الخاص بمن علّم بمشيئة واحدة في المسيح للطبيعتين ولم يكن الملكيون ليجهلوا هذا اللقب ومرماه . فحتماً لو كان الموارنة يعترفون بمشيئة واحدة بمعنى المونوثلية لما كان تأخر اخصامهم من تسميتهم باسم المونوثليين بعينه . بل انهم بقوا بعد ذلك الجدال يدعونهم بالاسم العام للمشيئتين : اي ملكيين وخلقيدونيين منسوباً للموارنة كما كان اسم ملكيين خلقيدونيين منسوباً للملكيين . وما ذلك الا قرار صريح بان الموارنة لم يعلّموا في ذاك الجدال تعليم المشيئة الواحدة المخالفة لما على خط الاستقامة . وهي المشيئة الواحدة الادبية الخاصة بالاقنوم والمضادة والمناقضة لتعليم المشيئتين المتضادتين الذي كان الموارنة والقساطرة يتهمون بها الخلقيدونيين ظلماً ورداءةً او جهلاً وتوهماً .

اما تعيرهم باسم الموارنة فيدل ان اعتراضهم هو ذات اعتراض الموارنة بتضاد المشيئتين لا غير .

ثم ان براءة البابا اينوشنسيوس الثالث[٢] الى البطريرك ارميا العمشيتي سنة ١٢١٥ تشير الى معنى المشيئة الواحدة الادبية عن الموارنة : وتنفي عنهم المشيئة الواحد[ة] المونوثلية بدليل انها تامر الموارنة ان يعترفوا بمشيئتين في المسيح وتضع هذا الامر بعد مسائل اخرى غير اعتقادية بل تهذيبية وطقسية فقط . وما ذلك الا بما ان هذه المسألة لم تكن ذات اهمية بالنسبة الى الموارنة الذين كانوا منذ القديم يعترفون بها الا انهم لا يعبرون عن اعتقادهم هذا مثل باقي الكاثوليكيين . ثم يتضح ذلك من عدم تنويه البراءة عن هرطقة المونوثلية وشرح خلالها . كما كانت العادة جارية لدى البابوات الذين كانوا لدى قبولهم رجوع هراطقة يبينون لهم اولا ضلال هرطقتهم ويأمرونهم بان يجحدوها خطأ ويعلنون ذلك في البراءة الرسمية الدالة على رجوعهم .

١) Eutychii Patriarchae Alexandrini, Annales, p. 210.

٢) تجد نص هذه البراءة في المتني ص ٢-٦ . Bullarium Maronitarum

وبما ان هذه البراءة هي على زعم الخصم الاولى بحق الموارنة من لدن الكرسي الرسولي كان من الواجب على البابا كاتيبا : وهو اعظم بابا عالم بالقوانين والشرائع في عصره ان يبرهن فيها عن بدعة المونوثلية وفسادها ويلزم البطريرك الماروني في المجمع اللاتراني الذي حضره هذا البطريرك ان يجحد هذه الهرطقة بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن شعبه ويعلن ذلك في براءته البابوية .

اما انه ولم يفعل شيئاً من ذلك بل حتم بالقول بالمشيئتين فقط بعد حتمه باتباعهم بعض طقوس وقوانين كنائسية فقط فلم يكن ذلك الا بما ان الموارنة لم يكونوا قبل ذلك الزمان ومنذ القديم مونوثليين ، بل يعترفون بمشيئة واحدة دالة على اتحاد المشيئتين . الا ان اعترافهم لم يكن مطابقاً في التعبير والظاهر لاقوال الكاثوليكيين بالمشيئتين وان فحواه معنى وضمناً .

ولذا حتم البابا عليهم ان يصرّحوا بتعليم المشيئتين بذات التصريح الذي رسمته الكنيسة الكاثوليكية . وان يعبروا عنه بتعداد الاثنتين بموجب تعبير الكاثوليكيين . وان لم يكن الامر كذلك يُعد البابا مقصراً والبراءة غير وافية . ومعاذ الله من ذلك .

ومن الكذب والتجني القول قول الخصم ان البطريرك الماروني وبعض اساقفته كانوا قد جحدوا هرطقة المونوثلية امام الكردينال في طرابلس قبل ذهاب البطريرك الى روميه وكتابة هذه البراءة بدليل ان البراءة لا تذكر ولا تشير الى ذلك قط بل جلّ ما تعلنه وتوضحه هو ان البطريرك واساقفته كانوا في طرابلس قد حلفوا يمين الطاعة للبابا كما يحلف جميع الاساقفة الكاثوليكيون لا غير .

فلا يمكن للعقل البصير والمتنزه ان ينتج من ذاك اليمين والخضوع ان اصحابه كانوا هراطقة مونوثليين . ومما يدعم قضيتنا هو اعتراف البراءة واثباتها حقوق البطاركة الموارنة سلفاء ارميا على الكرسي الانطاكي الامر الذي لم يكن [ا] الكرسي الرسولي يعترف به لمن لم يكن كاثوليكياً . ولذلك نرى ان الموارنة كانوا يعبرون عن المشيئتين باتفاقها بواحدة ادبية وبذلك يختلفون عن سواهم من الكاثوليكيين لفظاً لا معنىً بالقول وليس بالفعل بالعرض وليس بالجوهر وعن فلسفة سامية مثل الدمشقي وليس عن جهل او عن سوء تفاهم . بل عن شدة تمسك بتعليم المشيئتين وليس عن رفضهم له ثم عن رفضهم المضادة بين هاتين المشيئتين بحسب تعليم المجمع السادس

وليس عن عصيان عليه او عن انكار هاتين المشيئتين الطبيعيتين في المسيح. ولا يخلو اسم الموارنة في البراءة من الدلالة على انهم كانوا قبلها كاثوليكيين لانه لو كان هذا الاسم دالاً ومبنياً على خرطقة لما كانت البراءة ابقته لهم ولكانوا هم رفضوه.

ثم ان نص التلمحري في رهبان مار مارون وحزبهم لا يترك ادنى ريب بانهم كانوا الى سنة ٧٢٧ كاثوليكيين في الكنيسة الانطاكية على ايمان واحد مع سائر كاثوليكي هذه الكنيسة ، اي بعد المجمع السادس بنحو خمسين سنة ، وبعد ظهور واشتهار اسم المونوثليين شرقاً وغرباً بنحو ماية سنة. فمن ذلك يثبت انهم لم يكونوا مونوثليين ولا يمكن اطلاق هذا الاسم عليهم باي وجه كان. ولم يطلقه عليهم هذا المؤرخ الذي هو الوحيد بايضاح تعليمهم وشرح احوالهم.

والحال ان تعليمهم بالمشيئة الواحدة الادبية كما يظهر من اثارهم ونص التلمحري انهم كانوا متمسكين به من قبل زمان ذلك الجدال سنة ٧٢٧ اي منذ ظهور اعتراض السوارنة والناطرة على تعليم المشيئتين من انهما متضادتان ، وهذا الاعتراض قد نشأ منذ سنة ٦٤٩ وبليه تحديد المجمع اللاتراني الاول في ايام البابا مرتينوس القديس. وكان جميع كاثوليكي انطاكية قد اتفقوا على تقرير اتفاق المشيئتين خلافاً لمدعي الخراطقة حولهم وبينهم الذين كانوا يقولون انهما متضادتان. وقد بقوا على هذا القرار والتعليم الى ان جدّد الخراطقة خلافهم بخصوص تضاد المشيئتين بسبب نشر السابيين والجاليين لهذا التعليم المنسوب لرجل فرد هو القديس مكسيموس. دون ادنى اشارة الى السلطة الكنائسية السامية التي سنته وحددته في المجمع السادس.

ولما عرض هذا التعليم على هذا الوجه قبله بعض الكاثوليكيين في سوريا على غلاته دون مبالاة الى تجنبات الخراطقة ، ونفر منه رهبان مار مارون لما راوا فيه وفي ايضاح اصحابه له من امكان اخذ المشيئتين بمعنى المفعول الخاص بالاقنوم وليس بمعنى القوة الطبيعية للمشيئة والاستتاج منه للمشيئتين في المفعول الى تقرير اقنومين في المسيح. وقد رفضاه ليس بما انه يقرر المشيئتين الطبيعيتين بل المشيئتين المتضادتين.

ويظهر من نص التلمحري ان خصامهم لم ينكروا التضاد في المشيئتين ولم يتبنوا صحة معتقدهم بالمشيئتين لان الموارنة اتهموهم بالنسطورية لقولهم

بمشيئتين متضادتين اي في الموضوع والمفعول بحيث يكون للمسيح مشيئتان اقنوميتان وبالتالي مشيئة غير مشيئة الاب كما يقول الموارنة والنساطرة .

ومن ثم قد حصل بين الموارنة والمكسيميين ما قد حصل بين جميع الخلقيدونيين حسب رواية القس انسطاسيوس السيناثيتي من الخلاف والنفور والتشاحن والبغض حتى ادى بهم الامر الى تأليف كنيستين خلوصتين منفصلتين الواحدة عن الاخرى انفصالاً اداريا تاماً . انفصل الكاثوليكيون في سائر المملكة الرومانية . اما هذا الانفصال فانه لم يكن عن هرطقة . اي نكران وجحد المشيئة البشرية في المسيح . بل عن انكار مشيئتين متضادتين فيه .

ولما كان القس انسطاسيوس السيناثيتي وهو المؤرخ الكاثوليكي الوحيد الذي يبّن عن الجدال بين الكاثوليكيين على المشيئتين المتضادتين خاصة في اوائل القرن الثامن لا ينحو باللائمة ولا يتهم بالهرطقة لا من انكر المشيئتين كما فعل الموارنة . ولا من اقر بالمشيئتين كما فعل المكسيميون دلّ ان الانفصال بسبب الجدال على المشيئتين على هذا الوجه المشروع ولم يكن عن هرطقة وان اصحابه لم يكونوا هراطقة لانه صادر ومتأت عن سوء تفاهم وعن غيرة كاثوليكية للمحاماة عن صحة تعليم المجمع الخلقيدوني في الاقنوم الواحد والطبيعتين . ولذا ترى الدمشقي لا يذكر المشيئتين في جميع تآليفه بدون ان يلحقها بالقول انهما الطبيعتان وليس المتضادتين ومثله انسطاسيوس السيناثيتي .

اما المكسيميون فانهم في جدالهم مع الموارنة لم يصرحوا بان المشيئتين اللتين يعترفون بهما انما هما الطبيعتان والغير المتضادتين . وبوم تصريحهم هذا وقع الريب والشك لدى اخصامهم في صحة تعليمهم فرفضوه وبقوا على التعليم الذي كان يعترفون به من قبل وبه وحده قد انتصروا في جميع جدالاتهم الفلسفية اللاهوتية على النساطرة واصحاب الطبيعة الواحدة . وبرهنوا عن صحة تعليم المجمع الخلقيدوني في الاقنوم الواحد والطبيعتين .

ولذا ترى الدمشقي لا يذكر المشيئتين في جميع تآليفه بدون ان يلحقها بالقول انهما الطبيعتان وليس المتضادتين ، ومثله انسطاسيوس السيناثيتي . .

اما المكسيميون فانهم في جدالهم مع الموارنة لم يصرّحوا بان المشيئتين اللتين يعترفون بهما انما هما الطبيعتان والغير المتضادتين . وبعدم تصريحهم هذا قد وقع الريب والشك لدى اخصامهم في صحة تعليمهم فرفضوه وبقوا

على التعليم الذي كانوا يعترفون به من قبل وبه وحده قد انتصروا في جميع جدالاتهم الفلسفية اللاهوتية على النساطرة واصحاب الطبيعة الواحدة وبرهنوا عن صحة تعليم المجمع الخلقيدوني من ان في المسيح اقنوم واحد وطبيعتين ومشيئة واحدة ادبية دالة على اتفاقات المشيئتين والاقرار بهما لانهما تجتمعان وتتحدان وتتفقان في منعوتها وفي الاقنوم الواحد في المسيح حتى سدّوا بهذا التعليم افواه اخراطقة والقسوهم الحجر حتى لم يتركوا لهم مجالاً للاعتراض والتشدق. وهذا هو سبب العداوة الشديدة بين الموارنة الاولين وسائر الطوائف المجاورة لهم. وهو لم يكن عن هرطقة وضلال كما ترى. بل عن غيرة منيرة على المعتقد الكاثوليكي لم تدرك كنهها وحقيقتها غباوة وجهال اخصامهم ايّاً كانوا منذ ذاك الزمان الى الآن.

ومما يدل على ان الموارنة في زمان جدالهم مع المكسيميين وعدم قبولهم البطريرك تاوفيلوطا وبعد انفصالهم وتأليفهم كنيسة لوحدهم ببضع سنوات لم يكونوا هراطقة ولم تعتبرهم الكنيسة اراتيكيين بل انهم كانوا كاثوليكيين بتعليمهم المشار اليه.

حادثان جريا في سوريا وطنهم المطرانين خصوصيين فردين قد اجتمعت الكنيسة جمعاء اي الانطاكية والاسكندرية والاورشليمية بشخص بطاركتها وحرموا هذين الاستفين كلاً لوحده في ظرف خاص.

اما الحادث الاول فرواه تاوفانوس للسنة ٧٤٧ ؛ اي بعد تنصيب تاوفيلوطا بنحو سنة واحدة فقال:

في هذه السنة نيقيتاس استف بعلبك قد ضرب بالحرم من جماعة الكنيسة باسرها.

« Hoc anno Nicetas Heliopolos episcopus ab universo Ecclesiae cœtus anathemate percussus est »[1].

اما الثاني فقد رويتا نصه في ما سبق وهو ان استف حماه قزما قد اختلس اواني كنيسة هذه المدينة فشكاه اهلها الى البطريرك الانطاكي تاودوروس فخابر هذا البطريرك تاودوروس الاورشليمي وقزما بطريرك الاسكندرية بأمر هذا الاستف، وانضمامه الى هرطقة الملك قسطنطين ضد الايقونات، واتفقوا [في] ما بينهم على قطعه من الكنيسة الكاثوليكية فحرموه في يوم عيد العنصرة بعد قراءة الانجيل المقدس في سنة ٧٥٧.

فيستدل من هذين الحادثين الخصوصيين في سوريا حيث كان رهبان مار مارون وقومهم بعد انبثقالهم بسنين قليلة ان الكنيسة الكاثوليكية في

١) P.G., t. 108; col. 866.

هذه الامصار لم تكن لتغفل عن حوادث فردية في امر الدين والاداب الا وتهتم لها وتتخابر بشأنها وتشهر الحرم على من يقترفها ويخالف الكنيسة به . فيا ليت شعري لو كان الموارنة اولئك وهم شعب عظيم لا يستهان به منتشر في جميع انحاء سوريا ولبنان له بطريركه الخاص واساقفته واديرته العظيمة في انحميا وحما وانشام وحمص ومنبج ولبنان وقد حصل ذلك الخصام واشتد ذلك الخصام واشتهر ذلك الانفصال بينهم وبين المكسيميين وقد عرف خاصة ما جرى بينهم وبين ذلك البطريرك تاوفيلكتوس في ديرهم العظيم وفي منبج حتى انقسم الشعب الكاثوليكي الانطاكي الى حزبين الواحد مع المكسيميين والآخر مع رهبان مار مارون .

نعم لو كان الموارنة في ذلك الزمان هراطقة او يعلمون تعليماً فاسداً وغير كاثوليكي لماذا سكتت عنهم هذه الكنيسة ولماذا لم يتخابر بطاركة انطاكية واورشليم والاسكندرية بخصوصهم ويبتوا لامرهم ويشهروا حرمهم ويعلنوا للملا اجتنابهم وعدم مخالطتهم كما جرى قبل ذلك بسنين قليلة لقزما هذا بطريرك الاسكندرية الذي كان هو ومدينته مونوثليين وقد جحدوا المونوثلية في سنة ٧٣٤ كما يصرح تاوفانوس . وايم الحق ان سكوت الكنيسة عن الشعب الماروني ما هو الا الدليل الصريح انه لم يكن هراطقياً بل كاثوليكياً والاّ لكان هذا السكوت معجزة من الله تعالى واعجوبة من عجائب الدهر . بيد اننا نرى ان تاوفيلوطا كان قد اشتكى على رهبان مار مارون وبطريركهم واساقفتهم وحزبهم لدى سائر البطاركة . ولما لم تجبه البطاركة ولم توافقه على الموارنة كان هؤلاء كاثوليكيين ومحقين في بطريركتهم ومعتقدهم ولا يحل شجبهم البتة والتعرض لهم . ولذا التجأ تاوفيلوطا الى سلطة الحاكم الزمني المسلم صديقه مروان ، حتى اتخذ منه امراً خطياً وعسكراً ليضطهد الموارنة .

ولما لم يتعرض لهم سلفه اسطفانوس ، بخلفه تاودوروس ؟ اما اذا قيل ان قزما بطريرك الاسكندرية كان من الموارنة وعلى رأيهم بما انه مونوثليتي . نقول ان المؤرخ تاوفانوس يكذب ذلك وان التواريخ تكذبه ايضاً لانها لم تصرح قط بمخابرة او علاقة بين هذا البطريرك وشعب الاسكندرية . بيد انها بالعكس تعلن جميعها باتفاق بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم الخلقيدونيين ومنهم قزما هذا قبل زمان الانفصال وفيه وبعده .

اما قزما مطران حماه ، ونيقيتاس مطران بعلبك ، فيشير النص الى انهما من حزب المكسيميين واذا كان الخصم لا يقنع ببرهاننا هذا ويدعي

خلاف ما اثبتناه عن معتقد الموارنة الصحيح الكاثوليكي المحض . فيأتينا بنص واحد قد اشهرته الكنيسة الانطاكية لوحدها او الاشتراك مع سواها . واعلنت اخرم رسمياً وقانونياً وفي اجتماع قانوني بحق الموارنة واعتقادهم وغير ذلك مما يتعلق بهم .

ووجود البطريركية المارونية الانطاكية وشعبها العظيم في قلب سوريا بدون ان يتعرض لها بوجه قانوني من قبل سائر البطريركيات الا الدليل الواضح على صحة معتقدها وكثلكة ايمانها بدون ادنى تعليل .

ثم انه لا يمكن اتهام رهبان مار مارون وحزبهم من انهم قد غصبوا السلطة الكنسية الشرعية بسبب هذا التعليم وهدم الاستقلال وذلك للاسباب التالية :

اولاً - لان تعليمهم بحد ذاته انما هو تعليم كاثوليكي محض . وليس الا تعليم القديس يوحنا الدمشقي ذاته الذي قرر في نصين سابقين اي في الصفحة ٤٧٨ و٦٩٦ من المجلد ٤٧ . اللذين اتينا بهما في كتابنا هذا من ان المشيئتين الطبيعيتين في المسيح تصيران واحدة فقط ادبياً في اقنوم المسيح الواحد وفي المفعول بخضوع وطاعة المشيئة البشرية دائماً للمشيئة الالهية .

وقد رأيت في جميع نصوص كتب الموارنة التي اوردناها انها كلها تدل على هذا التعليم بالمشيئة الواحدة الادبية في اقنوم المسيح الواحد وفي المفعول : وتصرح به على رؤوس الاشهاد وبدون ادنى تردد .

وقد دلت ايضاً على تعليمهم هذا جميع آثارهم القديمة والمؤرخين المدققين الذين اتوا بذكرهم . وحقاً ان من امعن النظر في تعليم الموارنة بالمشيئة الواحدة الادبية وقابلهم مع تعليم القديس يوحنا الدمشقي بها ، وجد اتفاقاً تاماً كان الاثنين قد اتفقا على تعليم واحد فضلاً عن ان المجمعين المقدسين اللاتراني الاول سنة ٦٤٩ والسادس سنة ٦٨١ قد حددا عدم تعدد المشيئتين اي اتفاقهما بمشيئة واحدة ادبية .

نعم ان الموارنة لم يعددوا في تعليمهم اثنية المشيئتين ، ويصرحوا انهما اثنتان عدداً . الا انهم لم ينكروا هاتين المشيئتين الطبيعيتين في تعليمهم هذا ، بل انهم قد اضطروا بسبب الاراتكة وبسبب دخول المشيئتين من انهما المتضادتان الى رفضها والاقرار باتفاقهما . وهذا كان بوجودهما لانه مجموعهما في مفعولهما وفي اقنوم المسيح الواحد . وحقاً انهم معذورون شرعاً في ذلك دفعاً للتضاد ولتجنيات المراطقة الذين كانوا محاطين بهم .

ثانياً ثم انه لا يمكن ان يكون تعليم الموارنة هذا موافقاً للمونوثيلية بل انه ايضاً يضادها على خط الاستقامة ، لان المونوثليين ينكرون المشيئة

البشرية في قوتها اي الطبيعية . والموازنة يعترفون بها . غير انهم ينكرونها في غايتها ومفعولها . اذ ان غاية ومفعول هذه المشيئة البشرية ليست الا غاية ومفعول المشيئة الالهية . وبعد ان رأيت نص الدمشقي عن تحديد المشيئة بقوتها . اي قوة المشيئة بحد نفسها هاك ما قاله عن فعل هذه المشيئة . اي مفعولها في الصفحة ٤٧٧ .

ان فعل المشيئة هو الغاية اي مفعول المشيئة . ان مشيئة اي فعل المشيئة تتجه الى الغاية وليس الى ما هو واسطة الغاية . اما الغاية فهي بالحقيقة ذاك الفعل الذي هو مفعول المشيئة مثلاً مائث وتعافى اما ما هو واسطة الغاية فهو ما تفعل المشورة عليه مثل نوع الوصول الى الصحة والى السلطة الملكية ويتبع فعل المشيئة البحث والتأمل . ثم اذا كان الكلام عما يمكن الحصول عليه فيحصل الرأي اي الاختيار اما الرأي فانه انيل الباحث عما يجب عمله من الاعمال التي هي باستطاعتنا لان الانسان يختار فيما اذا كان يقدم على عمل شيء او لا . وحينئذ يحكم فيما هو الافضل والانسب ويسمى الحكم (غنومي) اما اذا حكم بالا يتجه الى ما قد حكم به اي الا يعتنه بتاتاً لا يقال له حكم والحال ان الانتخاب يتبع اعني الانتخاب الذي ما هو الا تفضيل شيء من الشيئين المعروض على الشيء الآخر ...

Volendi actus est finis, voluntatis subjectum. — Voluntas, seu volendi actus finem spectat, non ea quæ sunt ad finem. Ac finis quidem est, id quod actus voluntatis subjectum est, v.gr., regnare, bona valetudine esse: ad finem autem, id de quo consultatur; puta modus consequendæ sanitatis, vel regiæ dignitatis. Voluntatis actum sequitur inquisitio et consideratio. Deinde si de rebus quæ in potestate nostra sunt, agitur, consilium exsistit, seu deliberatio Est autem consilium appetitu. in quirens de rebus agendis, quarum potestas penes non est. Deliberat enim quispiam, num rem aliquam aggredi debeat, necne: tum id quod idoneum magis sit judicat, est judicium dicitur. Postea erga erga illud afficitur, et amplectitur quod consilium censuit; et tunc γνώμη, id est sententia vocatur. Nam si ita judicet, ut tamen erga illud quod judicatum est, non afficiatur; hoc est, illud minime amplectatur, sententia non dicitur. Jam vero affectionem sequitur electio, quippe quæ nihil est aliud nisi e duabus rebus quæ proponuntur, alterius præ altera suspeeptio. °...°

ثم اننا لا نضع في نفس المسيح الاختيار او الانتخاب او المشورة . لانه هو ذاته كان الاهاً وانساناً معاً . ومن ثم لم تكن له المشيئة التي هي من الحكم . اما المشيئة الطبيعية والمجردة والمميّزة في جميع اشخاص البشر على حد سواء فكانت فيه بيد ان الحكم اي الشيء الذي يشاء المشاء للمشيئة الالهية ؛ فان نفسه قدوسة لم تفسله ولم تتخذه لان الحكم يتميز بتمييز الاقانيم ما عدى في الالوهية القدوسة .

Quin ne in Chrsti quidem anima deliberationem aut electionem ponimus: neque enim ignorantia laborabat. °...°.

Idem enim ipse, et Deus, et homo erat, ac proinde voluntatem, quæ ex sententia est, non habebat. Naturaliis quidem et simplex voluntas, quæ in omnibus hominum personis peræque consideratur, ipsi inerat: cæterum sententiam, id est, rem quam vellet, divinæ voluntati contriam, et a divina sua voluntate alienam, sancta ipsius anima non admisit. Sententia quippe una cum personis discrepat, præterquam in sancta °...° deitate »[1] .

ثم انه قال بالمعنى ذاته في الصفحة ٥١١ :

ان المشيئة في المسيح اثنان اما الشايئ بها فهو واحد . وذلك بما ان المسيح هو واحد ؛ واحد هو اقنومه . فمن ثم واحد هو ايضاً الشايئ بالعقل الالهي والبشري معاً . ثم بما ان فيه طبيعتين مختلفتين قوة الشهة لانهما عاطلتان لذلك نقول ان فيه ايضاً مشيئتين طبيعيتين لانه هو ذاته مالك قوة الشهة من اجل الطبيعتين بما انه قد اتخذ قوة الشهة هذه التي لنا من الطبيعة . وبما ان المسيح ذاته واحد وهو الذي يشاء بحق الطبيعتين فحق ثم نقول ان مفعول المشيئة فيه واحد هو ايضاً ليس بما انه كان يشاء الاشياء فقط التي يشاءها

Voluntas in Christo duplex, θεωρικὸν unum. Quoniam igitur unus Christus, unaque itidem ejus persona est, unus etiam proinde est volens, tam divina quam humana ratione. Rursus, quia duas naturas volendi facultate præditas habet, utpote rationales, ideirco duas etiam in eo naturales voluntates dicemus. Idem enim ipse propter utramque naturam volendi facultate pollet; quippe qui eam assumpsit vim volendi quæ nobis a natura est. Et quoniam unus idemque Christus est, qui utriusque naturæ ratione vult, idem proinde voluntatis subjectum in eo dicemus: non quod ea sola vellet, quæ naturaliter uti Deus volebat (ne-

(1) P.G., t. 47, col. 477-478.

كالاكل طبعاً لانه لا يناسب الالوهية ان تشاء الاكل والشرب وما يشبهما بل الاشياء ايضاً التي تتقدم بها الطبيعة البشرية . لكن ذلك ليس بمضادة الحكم بل بخاصة الطبائع .

que enim divinitati convenit, ut edere velit, et bibere, aliaque id genus), sed etiam ea quæ naturam humanam constituunt: istud vero non sententia contrarietate, sed naturarum proprietate »[1] .

فهذا التعليم الدمشقي هو ذاته الذي علم به الموارنة بدليل قول الكسيسيين هم هكذا : « انكم تعتقدون ان في المسيح اقنوماً واحداً ... وسلطاناً واحداً وامراً واحداً . اذ ان لفظة سلطان او سلطة وامر في هذا النص لا تدل الا على فعل ومفعول المشيئة وليس على قوة المشيئة بحد ذاتها اي انها متخذة بالفعل وليس بالقوة ومعناها هو معنى كفر ويكون التي وضعها الدمشقي ومؤداها صاحب الحكم والامر والسلطة اي ان مشيئة الحكم والسلطة والامر في المسيح ترجع الى اقنومه . ولذا لم يكن له حكمان وسلطانان وامران ؛ بل حكم واحد ؛ وسلطة واحدة ، وامر واحد . لانه حاكم واحد وسلطان واحد وامر واحد ، ليس بمضادة الحكم بل بخاصة الطبيعتين . ففي قول الكسيسيين هذا القول للموارنة تصريح لا يشوبه ريب بان الموارنة لم يكونوا ينكرون في المسيح الا مشيئة الحكم التي نفاها الدمشقي ونفيها ايضاً بقوله :

فانه هو ذاته كان الاهاً وانساناً معاً . ومن ثم لم يكن له المشيئة التي من الرأي والحكم .

Idem enim ipse, et Deus, et homo erat ac proinde voluntatem, quæ ex sententia est, non habebat[2] .

وبما ان المسيح هو ذاته واحد يشاء بحق الطبيعتين تقول لذلك ان مفعول المشيئة فيه هو واحد ... وهذا ليس بتضاد الحكم بل بخاصة الطبائع . وبما انه كان يشاء ذلك طبعاً اذ ان كانت المشيئة الالهية تشاء بنوع ان تسمح للجسد ان يحتمل ويفعل الاشياء التي كانت خاصة به .

Et quoniam unus idemque Christo est, qui utriusque naturæ ratione vult, idem proinde voluntatis subjectum in eo dicemus °...° istud vero non sententia contrarietate, sed naturarum proprietate. Tum demum enim naturaliter hæc volebat, cum divina voluntas ipsius ita volebat, et carnem ea quae sibi propria erant, pati et agere permittebat »[3] .

(١) P.G., t. 47, col. 511.
(٢) P.G., t. 47, col. 478.
(٣) P.G., t. 47, col. 511.

ومن ثم كان الموارنة يعتقدون ان المشيئة المتسلطة والخاكمة والامرة في افعال المسيح ، انما هي واحدة في المفعول . لان المشيئة البشرية . فيه لم يكن لها السلطان والحكم والامر ، بل الخضوع والطاعة والاشتهاء ما هو طبيعي لها من ذات طبعها . اما الطبيعي لها من ذات طبعها فهو ان تميل الى الاكل والشرب وغيرهما مما تنزه عنه الطبيعة الالهية . وفي ذلك لا حكم لها ولا امر ولا سلطة على افعال المسيح ، بل كل السلطة والحكم والامر في هذه الافعال يختص باقنومه المقدس الفاعل والسابق الواحد في الطبيعتين بخاصتيهما . وهذا ما تدل عليه عبارة المؤرخ عن الموارنة : « انكم تعترفون ان في المسيح اقنوماً واحداً وان له فعلاً واحداً وسلطة واحدة وامراً واحداً . ولا ريب ان التسلط والحكم والامر تختص بالمفعول وتتعلق به . وكما ان المفعول به والمحكوم به والمتسلط عليه في المسيح هو واحد فقط ، هكذا المشيئة في المفعول فيه هي واحدة ، والفعل فيه هو واحد مؤلف من قوتي المشيئتين .

ومما ينفي كل ريب عن معنى معتقد الموارنة من انهم يرفضون وينكرون مشيئة الحكم والامر التي ينكرها الدمشقي على الطبيعة البشرية في المسيح في المفعول ، وليس المشيئة الطبيعية للطبيعة ، انما هو نص المؤرخ في استنتاجه من الجدال ذاك الاستنتاج الذي يدل صريحاً ان الذين كانوا يقولون فيه بمشيئتين وفعلين لا يعنون بهما الطبيعيتين بل الاقنوميتين اللتين لها سلطان وحكمان وامران في اقنومين لهما سلطتان وامران وحكمان وفيهما متسلطان وحاكمان وامران ، وذلك بقوله « والحال ان هؤلاء (المكسيميين) كانوا يقولون حسناً باولئك (الموارنة) اي انه كان المسيح بحسب طبيعتين وفي طبيعتين حافظتين خاصتيهما وفعليهما مثل رسالة لاوون وتحديد المجمع الخلقيدوني . فمن الضرورة يجب ان يعتقدوا بمشيئتين وفعلين بل اقنومين فاعلين ومتسلطين ، اعني ابنين ومسيحين » .

فلا ريب ان الجدال هنا كان على المشيئة في المفعول وليس بالقوة وعلى ان المسيح هل له مشيئة واحدة امرة ومتسلطة ام مشيئتان امارتان ومتسلطتان وهل له في الحكم مشيئة واحدة حاكمة ام مشيئتان فقال الموارنة في ذلك بمشيئة واحدة آمرة وفعل واحد آمر . وقال الخصامهم بمشيئتين آمرتين وفعلين آمرين كما يقول النص . ولذا كان الموارنة يعيّرون الخصامهم بقولهم : « انكم نساطرة » ، اي تعترفون باقنومين لان قولكم بمشيئتين آمرتين وفعلين آمرين تدلون على اقنومين في المسيح وهذا هو ضلال النساطرة .

فمن جميع ما تقدم يتضح ان المشيئة الواحدة التي امتاز بها الموارنة عن المكسيميين كما يقول النص ليست تلك المونوثلية . بل تلك التي شرحها وعلّم بها الدمشقي الا وهي مشيئة الحكم والمشيئة في المفعول والمشيئة الادبية المؤتلفة من قوتي المشيئتين الطبيعيتين في اقنوم المسيح الواحد وهي واحدة فقط . ومن ثم رفضوا ليس احداهما الطبيعية بل تلك المضادة والمخالفة للمشيئة الالهية فيما تشاءه في المفعول الخاص بالاقنوم وليس بالطبيعة والتي لم تكن في المسيح بتاتاً كما يصرّح الدمشقي . ولهذا لا يمكن اتهام الموارنة وتسميتهم بالمونوثلية لا سوريا [صوريا] ولا مادياً . لان تعليمهم هذا يضاد هرطقة المونوثلية في مبدائها وقوفها ونتائجها المضادة التامة .

ومن ثم لا يخلو تصريح المؤرخ من اثبات قضيتنا بقوله : «بانهم الموارنة يعترفون بمشيئة واحدة في المسيح لكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني» . ذلك لان المؤرخ اليعقوبي كان يزعم ان الاعتقاد في المجمع الخلقيدوني انما هو [ا]لاعتقاد في المشيئتين والفعلين ضمناً . ومن ثم لا يمكن فهم عبارته هذه عن الموارنة والتوفيق في اعترافهم بمشيئة واحدة من جهة وبالمجمع الخلقيدوني من اخرى . الا بان المشيئة الواحدة التي كانوا يقولون بها تنطبق على تعليم وتحديد هذا المجمع المقدس . اما هذا التطبيق فلا يمكن ان يكون بالمشيئة الواحدة المونوثلية التي كان اليعاقبة يعتبرونها موافقة لهرطقتهم ، لانها تهدم الطبيعة البشرية وتخالف المجمع الخلقيدوني بل تلك الواحدة الادبية التي ما لفظة الوحدانية فيها الا للدلالة على اتفاق المشيئتين في المفعول ، فتكون من ثم واحدة ومطابقة تماماً لروح تعليم المجمع الخلقيدوني .

ومن ثم لا يمكن ان الموارنة قد اعترفوا وعلموا الا بهذه المشيئة الادبية نظراً لتمسكهم بالمجمع الخلقيدوني وعداوتهم لاصحاب الطبيعة الواحدة التي ينفرون منها لانها تلاشي تعليم هذا المجمع . ثم لما عرفوه في جميع الطوائف من ان المشيئة الواحدة المونوثلية تلاشي وتهدم الطبيعة البشرية في المسيح لا يعقل انهم حاولوا جمع الطوائف من تساطرة ويعاقبة وملكيين بهذه المشيئة الواحدة ، وقد انتصروا عليهم ، والفوا كنيسة خاصة بهم ما لم تكن هذه المشيئة هي غير المونوثلية التي كان قد اجمع الغرب والشرق على رفضها وحرمها وما لم يكونوا قد استندوا تعليمهم هذا الى تعليم الدمشقي وتعليم الكنيسة الرومانية وكيف يكون ذلك وهم المعتقدون كما تصرح تقاليدهم ان تعليمهم هو تعليم الافرنج وجميع الشعوب ما عدى الملكيين .

هل يا ترى كانوا يجهلون ان الافرنج . اي كنيسة رومية . لم تعلّم قط بالمشيئة الواحدة المونوثلية او كيف يكون ذلك وهم اعداء لولاة القسطنطينية والبطاركة المونوثليين الذين لم نجد لذكرهم اثرًا في تقليد الموارنة او في اثارهم. اما الذي حدى بهم بعض [بعد] تقرير المشيئتين الطبيعيتين في المجمع السادس واعترافهم بهما الى ذلك الزمان . زمان الجدال سنة ٧٢٧ كما يشير نص المؤرخ الى رفض هاتين المشيئتين والتمسك بتعليم المونوثلية الذي لم يكن معروفاً لديهم . ولم يخضهم احد على التعلق والتشبه به لان انصاره كانوا بعيدين عن سوريا وقد دخلوا في خبر كان حتى لم يبق من قوة على وجه الارض تعضده فالحالة هذه هل يعقل ان رهبان دير مار مارون . وهم العلماء والفلاسفة : قد تمسكوا بضلال يعزم عن جميع الكنائس ويخبر عليهم الزمان وعلى كنيتهم التلاشي ان لم يكن لهم من سلطة لا زمنية ولا كنائسية فهل يصدق ذلك ولا ذكر في آثارهم لاحد انصار المونوثلية قط.

اما اذا قيل انهم رفضوا تعليم مكسيموس وضادوا وجادلوا اصحابه . اجبنا انهم لم يرفضوا تعليم مكسيموس الصحيح كما عرفته وعلّمت به الكنيسة الجامعة بل بما انه دخل عليهم مشوهاً ومحرفاً وفاسداً لتفسير اصحابه له في وجههم من انه يحتوي المشيئتين المتضادتين وعلى هذا الوجه فقط وبحسب هذا التفسير المخالف للحقيقة لا غير قد نفروا منه بل رفضوه. وقرفوه وقرفوا اصحابه . وحقاً لو كان المكسيميون يعتقدون ويعلمون تعليم مكسيموس الذي قرّره واثبته وحدده المجمع السادس لماذا لم يحجهم [يحاججهم] اصحابه بسلطة هذا المجمع وبانه تعليم الكنيسة بل نسبوه اليه وحده وما ذلك الا لانهم فسّروه واوضحوه خلافاً لتقرير الكنيسة وعلى هواهم ونسبوا ذلك الى مكسيموس وحده ولم يتجرأوا على نسبته الى المجمع السادس لانه حرمه لكونه يقرر المشيئتين المتضادتين .

وعلى كل حال ان تعليم الموارنة بهذه المشيئة الواحدة لا يمكن ان يكون مونوثلياً وذلك للاسباب التالية :

اولا لانه يصرح بالاعتراف بالمشيئتين الطبيعيتين في المسيح كما رأيت في نص ايمانهم السرياني .

ثانياً لان المشيئة التي يذكرها تعليمهم هي بالنظر الى المفعول وباعتبارها في معنى المفعول وليس بالنظر الى قوتها وطبعها فقط .

ثالثاً لانه مطابق لتعليم القديس يوحنا الدمشقي كما رأيت .

رابعاً لانه لا ينكر في المشيئتين الا التضاد بينهما الذي انكرته الكنيسة وجامعيها .

خامساً لان تعليم المشيئتين لم يُعلن لهم ، ويُذع عليهم . ويتصل اليهم بواسطة السلطة الكنائسية الشرعية السامية .

سادساً لان الكنيسة لم تحرم او ترذل في مجمع .

سابعاً لان الكنيسة اليونانية الارثوذكسية لم تجسر على حرمه رسمياً وقانونياً بل جل ما هنالك جدالات ومشاحنات ومنازعات وحرومات خصوصية من الطرفين لا عبرة لها .

ثامناً لم يسمهم احد من المؤرخين باسم مونوثليين المعروف بالضلال والخاص بالهرطقة .

تاسعاً لان قول المؤرخين عنهم انهم يعتقدون بالمشيئة الواحدة يدل على المشيئة الادبية وليس المونوثلية .

عاشراً لان كتبهم القديمة تصرّح ان اعتقادهم انما هو اعتقاد الافرنج . اي كنيسة رومية ، التي لم تعلم بالمونوثلية قط .

الحادي عشر لانهم لم يعلموا بهذا التعليم لعصيانهم على سلطة الكنيسة الشرعية ، وهذه لم تكن بصوريه بل عن غيرة على تعليم الكنيسة الكاثوليكية ودفعاً لتجنيات الهراطقة ، وتضريقهم لهم . وهم الذين ذكرهم انسطاسيوس السينائيتي الساويريين والنساطرة .

الثاني عشر لان الجدال الذي حصل منهم للكسيميين لم يكن خاصاً بهم لوحدهم . بل ان مثله قد حصل منذ اوائل القرن الثامن بين جميع الخلقيدونيين في المملكة الرومانية وفي الشرق كما يصرّح نص انسطاسيوس السينائيتي حيث انقسمت الكنائس والكهنة والاساقفة والحكام بسبب تفسير وايضاح المشيئتين ، وقد اعتنق كل من الفريقين رأياً خاصاً به : منهم على رأي رهبان مار مارون ، ومنهم على رأي المكسيميين ولم يدّع احدٌ ولم يتهم المؤرخ احدهما بالهرطقة المونوثلية ، وذلك لان رأي الفريقين كان حاصلاً عن سوء تفاهم وبسبب الهراطقة ولم يكن الاختلاف بينهم الا في التعبير والتفسير والايضاح وليس في الجوهر والمعنى والحقيقة التي كان كلٌ منهما يعتقد بها

الثالث عشر لان المؤرخ يصرّح انهم كانوا معروفين بانهم

كاثوليكيون الى سنة ٧٢٧ وبهذا التعبير دلالة على قبولهم تعليم الكنيسة الكاثوليكية الى ذاك الزمان وعدم عصيانهم عليها قبله .

رابع عشر لان المونوثلية كانت قد انتشرت منذ داية سنة في المملكة الرومانية ولم يتمسكوا بها ولا عرفوها البتة .

خامس عشر لان القديس يوحنا الدمشقي المعاصر لزمن الجدال بين الموارنة والملكيين لم يتصدى لهم ولم يتهمهم بالمونوثلية وقد دبّج مقالة شائقة في المثيثين في دمشق امام دير مار مارون فيها . وامام رهبانه . وفي وسط شعب عظيم ماروني كان في هذه المدينة . وهو لم يوجهها ضدهم ولم يشر اليهم بشيء منها بل انه ذكر فيها المونوثليين باسمهم هذا مرتين كأنهم قد دخلوا في خبر كان . كما انه على زعم الخصم قد ذكر في غيرها الموارنة مرتين ايضاً ؛ وما ذلك الا ان هذين الشعبين المونوثليين والموارنة هما مختلفان في الاعتقاد وحتى يكون الواحد منهما هو الآخر كأن الشعب المونوثلي ليس بالماروني ولا الماروني بالمونوثلي مع ان عدم توجيه مقالته هذه ضد المونوثليين دلالة واضحة على انهم كانوا ومضوا ومحيت اثارهم . ولو كان الموارنة من بقيتهم لم يمنعه احد من الاشارة الى ذلك .

سادس عشر ان النصوص التي من قبل سنة ٧٤٠ تذكر على زعم الخصم الموارنة بهرطقة المونوثلية مثل تيموثاوس القسطنطيني وجرمانوس القسطنطيني لا نصيب لها من الصحة لانها مزورة كما برهنا ؛ ولأن الموارنة بموجب نص التلمحري لم يشهر انفصالهم الا بعد سنة ٧٤٦ .

السابع عشر ان جميع النصوص التي [هي] من القرن العاشر تتهم الموارنة برفضهم المجمع الرابع والخامس والسادس دلت على جهل فاضح عن حالة الموارنة الذين ما زالوا كاثوليكيين يعتقدون بهذه المجامع الى سنة ٧٤٦ كما صرّح التلمحري المؤرخ الثقة . فضلاً عن ان هذه النصوص ؛ ما عدى نص التلمحري؛ هي ملفقة من يد اثيمة بعد القرن السادس عشر؛ لاننا لم نجد فيها نصاً واحداً مكتوباً او منسوخاً عن نسخة قديمة لصاحبه من قبل ذاك القرن رغماً عن ان عبارات تلك النصوص هي منزلة كجملة معترضة ، لا صلة لها مع ما قبلها وما بعدها ؛ وهي مرتجة اي ارتجاج . وذلك دلالة على غباوة وخبث منزلها بدلا من غيرها مما كان في الاصل كما رأيت في نصوص الدمشقي واني قرّه وغيرهما . ولا يمكن القول ان الموارنة قد زوّروا هذه النصوص وذلك لانها جميعها كانت بيد اخصامهم وخرجت من عندهم وهي في اللغة اليونانية التي يجهلها الموارنة .

اما تصرّض كهذه عند اخذ النقد والبصيرة فلا اعتبار لها . بل يضرب بها عرض الحائط . وكم وكم مثلها في التواريخ الشرقية قد كانت زمناً الشغل الشاغل للمؤرخين المدققين .

ثمن عشر ان سكوت المؤرخ اغابيوس المنبجي بنوع الخصي يثبت كشكة الموارنة في منبج في زمانه ؛ اي سنة ٩٥٣ . اذ انه كان مطراناً على مدينة منبج التي كان الموارنة فيها شعب عظيم . وكنيسة كبرى منذ ايام الجدال والانفصال . فأيّم الحق لو كانوا مونوثليين في ذاك الزمان كما يريد الخصم ؛ وليس كاثوليكيين . لماذا لم يذكرهم في مرطقتهم هذه ؛ او يشير اليهم خاصة لدى ذكره احدهم تاوفيلوس الرهاوي الماروني والمجمع السادس لا بل انه ذكر ان الذين قد قبلوا المجمع السادس هم الملكيين فقط . ومن يكر تسمية الموارنة بالملكيين في زمان المجمع السادس هم ولا ريب عندنا انه لو كان من تأليفه نسخة بين ايدي الخصام الموارنة لما كانوا تأخروا عن تزويرها ودس تهمة الموارنة فيها .

دير مار الياس – انطلياس — **الاب انطوان ضو الانطوني**